







حكاوي الكتب
www.hakawelkotob.com

ومضات من الحكاية:

«عزيزتي ريهانا: لقد كنت بالنسبة لي مجرد تحد، ولأنك كنت تحد صعب.. ولأني لم أعتد الخسارة أبدا.. فكان علي الفوز بكِ مهما كان الثمن.. وطبعا لم أكن لأعدم الوسيلة»..

(سوار الأنصاري)

«أثق؟ أتذكر أنني عندما منحت ثقتي لأحدهم.. يومها بالتحديد فقدت حياتي»..

(إيلينا ألفاريس)

«أرجوك اسمعيني.. أعلم أن ما قلته لك غريب جدا.. أنا لا أعلم ما اسمك ولا من تكونين ولا حتى إن كنا التقينا من قبل أم لا.. كل ما أعلمه حقيقة.. أنني مغرم بك»..

(سوار الأنصاري)

أنا لم أتعود على قلب الصفحات والبدء منٍ جديد.. كل ما أفعله ببساطة أنني إن أتلفت صفحة من دفتري أقوم بإلقائه في القمامة مباشرة»..

(ريهانا الأنصاري)

«أعدك أنك ستفعلين ريهانا.. أعدك أنك ستحبين هذا السوار بالتحديد.. تعلمين لِمَ؟ ليس من أجل الزينة لا.. بل ليشكل حول ذراعك الناعمة هذه جدارا منيعا لا يتحطم إلا بموت أحدنا.. أو كلينا»..

(سوار الأنصاري)

«أجل هذا صحيح.. لكن الممثلة لا تصل إلى قمة النجاح إلا إن كانت قد تلقت دروسها على يد أبرع الرجال.. ولابد وأنها دفعت ثمن تلك الدروس باهظا جدا.. فوق ما تتخيلون»..

(إيلينا ألفاريس)

«من أجل عمتي ثريا يمكنني فعل أي شيء قد يخطر على بالك... حتى القتل إيلينا»..

(سوار الأنصاري)

«أنت اسم على مسمى.. تشبه السوار فعلا.. أقصد أنك أنيق، جذاب.. وثمين كذلك... لكن للأسف؛ لا وظيفة لك في هذا العالم سوى الالتفاف حول معاصم الفتيات اللواتي ينبهرن بالبريق الزائف.. وأنا كما ترى.. لا أحب الأساور»..

(ريهانا الأنصاري)

يوسف الجبّري

إصدار

دار حكاوي الكتب للنشر الإلكتروني

ريهانا

يوسف الجبّري

الفصل الأول

في البلدة

الساعة الآن قد جاوزت منتصف الليل، وكل أهل القصر بل وكل من بالبلدة يغطون في نوم قاتل عداه هو، لقد ظل يتحين سكون الليل ليقوم بالتأكد مما كان يجول بخاطره، ترك غرفته والقصر ككل واتجه مباشرة إلى الجانب الشرقي من الحديقة حيث يقع ذلك المرآب الذي لم يفتح منذ ما يزيد عن السنة ..

وقف يحدق بالبوابة التي تراكمت عليها الأتربة ومن حولها الحشائش، أخرج المفتاح الذي اضطر لتقديم مبلغ مالي لكبير الخدم مقابل أن يحضره له من غرفة "العمة ثريا" التي كانت حريصة كل الحرص على أن تخبئه بعيدا عن ناظريه..

لحظات قليلة مرت قبل أن يدفع البوابة ويضع قدميه داخل المرآب المظلم، تحسس الجدار بإحدى يديه ليتلمس موضع القاطعة؛ ضغطها ليضيء المكان كله، جال ببصره في الأرجاء

لتقع عيناه على ما يشبه مخزن النفايات أو أفظع، لم يهتم كثيرا لتلك الفوضى لأنه جاء من أجل شيء واحد ومحدد..

اقترب من السيارة المركونة في طرف المرآب، أو بعبارة أصح؛ حطام شيء ما كان يدعى سيارة في الماضي غير البعيد.. مد يده يتحسسها وهو يتقدم شيئا فشيئا إلى أن وجد نفسه عند باب مقعد السائق، فتحه بهدوء ودخل السيارة، جلس على المقعد وأطلق نفسا عميقا..

خاطب نفسه بصوت متقطع:

- إذن أنت هي سبب ما حصل لي؟

أغمض عينيه برهة وعاد لفتحهما ثم أردف:

- حسن.. لابد وأنني كنت أحتفظ بشيء مهم داخلها.. لقد كانت بالنسبة لي أكثر من سيارة.. إنها صندوق أسراري..

مدّ يده إلى الصندوق الأمامي بتركيز شديد، فتح ليجده خالٍ تماما، عاد ليفتش على الجانبين لكنه لم يجد شيئا مهما مما زاد من توتره واضطراب حركاته..

ضم قبضته بتوتر وضرب بها المقود وهو يخاطب نفسه بحدة:

- لا شيء.. لا شيء.. تباً لكِ وتباً للجميع..

تلك الضربة التي جعلت الصندوق العلوي للسيارة يُفتح تلقائيا ويقع منه ما يشبه الدفتر على حجره..

أمسك الدفتر بسرعة وفتحه بلهفة ليقع نظره على عبارة مكتوبة بخط يده، تلاها بهدوء وتركيز شديدين:

- عزيزتي ريهانا، لقد كنت بالنسبة لي مجرد تحدٍ، ولأنك كنت تحدٍ صعب.. ولأني لم أعتد الخسارة أبدا.. فكان علي الفوز بكِ مهما كان الثمن.. وطبعا لم أكن لأعدم الوسيلة..

أراد مواصلة القراءة لكنه توقف عندما سمع صوتا آتيا من خلفه..

- علمت أنك لن ترتاح حتى تأتي إلى هنا يا عزيزي..

بمجرد سماعه تلك الكلمات وانتباهه للصوت الذي يخاطبه قام بدس المفكرة على خصره من الخلف ليخفيها عن الأعين التي كان يدرك أنها تكتم عنه سرا عظيما..

ترجل من السيارة ثم التفت خلفه باتجاه مصدر الصوت، غمز بعينه وهو يبتسم قائلا:

- أمي.. كنت تراقبينني أليس كذلك؟ يا لك من ماكرة..

اقتربت منه العمة ثريا وهي ترد بنبرة لائمة:

- ماكرة؟ أيها الوقح.. تأدب وأنت تخاطبني..

اقترب منها ولف كتفيها بذراعه وضمهما إليه وهو يضحك قائلا:

- لا تغضبي مني عزيزتي.. تعلمين أنني لم ولن أحب أحدا كما أحبك.. حتى والديّ..

التفتت له وهي تقول بضيق:

- في الحقيقة أنت تستغل حبي لك أسوأ استغلال..

ثم أضافت وهي تطلق نفسا عميقا:

- لِمَ أتيت إلى هنا سوار؟

حدق بها سوار مطولا ثم التفت خلفه وتقدم خطوات نحو بوابة المرآب وهو يرد:

- أظنك تعلمين.. أتيت محاولا معرفة ما تقومون جميعا بإخفائه عني..

ثم انصرف تاركا العمة ثريا خلفه تراقب انصرافه غير المهذب ذاك وهي تقول:

- سوار يا سوار.. أنت لا تعلم أنه من الأفضل لنا جميعا أن لا تعلم شيئا عمّا حصل..

عاد سوار بخطوات سريعة إلى القصر تتبعه العمة ثريا التي كانت تحاول اللحاق به، دلف القصر واتجه نحو غرفته مباشرة، أغلق بابها خلفه بإحكام ثم استل تلك المفكرة وجلس على سريره ليواصل تلاوة تلك العبارات التي خطتها أنامله:

- عزيزتي ريهانا: هذه مذكراتي منذ اليوم الذي علمت فيه بوجودك وإلى غاية اللحظة.. عندما تقرئينها ستفهمين كل شيء..

ثم واصل وقد جحظت عيناه أكثر:

- ولا أظن أنه سيتسنى لك الوقت لتقرئيها لأنه لم يعد أمامك ما يكفي لتفهمي ما أقصده..

قلب سوار الصفحة ليواصل القراءة ليتفاجأ بأن هناك ورقة ممزقة.. التفت للصفحة الموالية ليقع نظره على تاريخ مهم جدا لا يزال يذكره إلى الساعة:

- اليوم: الخامس والعشرون من شباط..

أراد المواصلة لكنه أغلق المفكرة ودسها تحت المخدة عندما سمع صوت طرق على باب غرفته.. قام بسرعة وفتحه ليقف محدقا بالعمة ثريا التي بدا عليها الانزعاج من تصرفاته الغريبة، خاطبها مبتسما وهو يمد يده ليقرص على وجنتها:

- هيه أيتها الفاتنة.. أعلم أنك تبدين جذابة في كل حالاتك.. لكنني أفضل أن أرى ابتسامتك يا حلوتي..

خاطبته العمة ثريا وهي تبعد يده بعنف عن وجهها:

- ادخر كلماتك السخيفة لخطيبتك أيها الوقح.. أتيت لأخبرك أن الخدم جهزوا لك حقائبك، وأنا ضبطت لك المنبه على السابعة..

ثم انصرفت دون أن تودعه أو حتى تنتظر رده.

استيقظ سوار بمجرد سماعه صوت المنبه، اعتدل على سريره يفرك عينيه بكسل شديد، قام بسرعة لتجهيز نفسه لرحلة السفر إلى العاصمة..

في حديقة القصر تجلس عائلة الأنصاري على مائدة الفطور في الوقت الاعتيادي، كانت السيدة ثريا تلتقم سلطة الفواكه بهدوء وهي تنصت للحوار الاعتيادي بين شقيقها السيد محمود وزوجته السيدة منيرة.. أخيرا أطلقت نفسا عميقا والتفتت لهما وهي تقول بحزم:

- لِمَ نضطر لسماع ترهاتكما كل صباح؟ هناك مكان يسمى الجناح الخاص لتتشاجرا فيه دون أن يعلم الجميع بما حصل..

التفت إليها السيد محمود وهو يرد معتذرا:

- أنا آسف ثريا.. أعلم أنك تتضايقين من مناقشة أمورنا الشخصية على مائدة الطعام.. لكنني...

ثم صمت فجأة بعد أن قطعت السيدة منيرة كلامه وهي تخاطبه بنبرة لائمة:

- لِمَ تعتذر منها محمود؟ الأمر لا يخصها ولا يجوز لها أن تتدخل فيما نقوله أو نفعله..

وقتها وضعت العمة ثريا فنجان شايها على المائدة وخاطبت السيدة منيرة بنبرة مهددة:

- منيرة.. أظنني نبهتك مسبقا إلى أن تلزمي حدودك إن أردت البقاء هنا.. وأظنك تعلمين أنك أنت وزوجك لستما سوى عالتين على ولديّ سوار وساري.. ولا أريد أن أقول المزيد..

تلك الكلمات كانت جديرة بإسكات السيدة منيرة وزوجها، وانصرافهما بهدوء أمام عينيّ ابنتهما الوحيدة "ليلى" التي قامت هي الأخرى متحججة بضرورة إطعام كلب الحراسة..

أخيرا خرج سوار من الحمام يجفف شعره ليجد إحدى الخادمات تقوم بتوظيب الغرفة، ألقت التحية عليه مباشرة ثم أردفت:

- سيد سوار.. لقد وجدت هذه تحت مخدتك.. أين تريدني أن أضعها؟

التفت سوار ليد الخادمة التي تمسك بها المفكرة، اقترب منها وسحبها من يدها وهو يرد:

- لا عليك نجلاء.. إنها لي..

ثم اتجه إلى حقيبة أوراقه ووضعها فيها، وبانصراف الخادمة قام بتغيير ملابسه وحمل حقيبته واتجه إلى حديقة القصر لينضم إلى العمة ثريا التي كانت لا تزال تتناول فطورها وكأن شيئا لم يكن، اقترب منها وطبع قبلة على خدها قبل أن يقول:

- أمي.. صباح الخير..

حدقت به العمة ثريا بلامبالاة ثم ردت:

- صباح النور.. هل ستغادر الآن سوار؟

جلس سوار إلى المائدة ومد يده ليصب بعض القهوة في فنجانه وهو يجيب:

- بلى أمي.. علي أن أجهز العقود قبل أن يصل شريكنا الجديد..

بمجرد إنهائه لفنجان قهوته قام سوار بسرعة مودعا العمة ثريا التي كانت تخاطبه قبل أن يبتعد:

- سوار اعتن بنفسك جيدا.. وبلغ تحياتي لنهلة والسيد أيمن..

تقدم سوار بسيارته نحو بوابة القصر يريد الخروج إلى الطريق العام لكنه توقف حين لمح ليلى من بعيد تداعب كلب الحراسة، كان يستغرب تلك الشجاعة التي امتلكتها لتقترب منه وتلاعبه وتطعمه، أراد توديعها قبل مغادرته، لذلك أوقف سيارته وترجل منها، اتجه نحوها ووقف غير بعيد يحدق بها، خاطبها مبتسما:

- منذ متى تحبين الكلاب ليلى؟

التفتت ليلى باتجاهه بمجرد سماعها صوته، قامت بسرعة وخاطبته بنبرة خائفة :

- سوار.. ما الذي جاء بك هنا؟ غادر أرجوك..

أنصت لها سوار ثم رد بارتباك مستغربا كلماتها:

- أتيت لأودعك لا غير.. لم أقصد أن أقاطع..

ثم توقف عن الكلام وقد تسمرت عيناه على منظر الكلب الذي بدأ يزمجر بمجرد اقترابه من ليلى، ذلك الكلب الذي تأهب للانقضاض على سوار وكأنه اعتبره شخصا غريبا عن القصر أو لربما لصا أو مجرما يريد إيذاء ليلى أو إيذاءه هو ذاته.. لكن ليلى تعلقت بعنقه محاولة إمساكه وهي تخاطب سوار بخوف شديد:

- سوار غادر من فضلك قبل أن يهجم "هانتر" عليك.. ابتعد أرجوك..

تراجع سوار خطوات غير مستوعب لرد فعل كلب الحراسة ذاك، ولا حتى لثقة ليلى بأنه سيهجم عليه حتما إن بقي أمامه.. عاد لسيارته محاولا تناسي الموضوع كونه لم يكن ذو أهمية، خرج بها من القصر وتقدم قليلا باتجاه الطريق العام ليتوقف مجددا لكن هذه المرة بعد أن اعترض طريقه صديق قديم..

ترجل سوار عن سيارته واقترب من الرجل وهو يبتسم له:

- زياد توفيق.. كيف حالك يا رجل؟

مد يده باتجاهه ليسلم عليه لكنه تفاجأ بتلك النظرة الحادة في عينيّ زياد الذي لم يكلف نفسه رد التحية، خاطبه سوار ارتباك:

- ما بك زياد؟ ألن تسلم علي؟

اقترب منه زياد أكثر ثم خاطبه بنبرة حادة:

- سوار الأنصاري.. لم أعتقد أن خلف قناع الشاب المستهتر الذي ترتديه يوجد مجرم بارد الدم..

ثم أضاف وهو يلف حوله:

- خطة ذكية لا تخرج إلا من عقل في منتهى الذكاء والمكر سيد سوار..

وتركه مكانه يحاول فهم تلك العبارات الغامضة وانصرف نحو الفيلا خاصته..

عاد سوار إلى سيارته وهو يجز على أسنانه مخاطبا نفسه بحدة وضيق:

- ما الذي يحصل هنا؟ عليّ أن أغادر هذه البلدة قبل أن أصاب بالجنون..

وهكذا سار سوار في الطريق الرئيسي للبلدة التي تتوسط سلسلة المزارع الممتدة هناك إلى أن وجد نفسه على "جسر العاج" ذلك المعلم الأثري الذي سميت البلدة نسبة إليه بـ"تل

العاج"، والذي ظل الاعتقاد السائد لدى الأهالي بأنه صنع من أنياب الفيلة التي قطنت منذ قرون بالمنطقة قبل أن تنقرض بسبب حملات الصيد الجماعي لها..

قضى سوار ما يجاوز الربع ساعة يسير على جانب الجسر المؤدي للعاصمة، كان يشغل موسيقى هادئة ليريح أعصابه المشدودة على الدوام، انتبه رغما عنه إلى الجانب المقابل حيث أغلقت الطريق بسبب بعض الأشغال التي بدت له وكأنها متوقفة منذ مدة ليست بالبسيطة..

كان سوار يحدق بتمعن بالانهيار الكبير لبعض الأعمدة والصفائح الحديدية التي يفترض بها أن تشكل سورا يحمي السيارات والمارة من الوقوع في الجرف الذي يفصل الجسر الأثري عن البحر بما يقارب المائتي متر وربما أكثر..

لقد كان منظرا محيرا ككل ما رآه وسمعه سوار منذ عاد لتل العاج التي تغيرت عليه كثيرا في ظرف سنة واحدة لا غير..

الفصل الثاني

في العاصمة

الساعة الآن العاشرة، أشد الفترات شحنا وازدحاما ونشاطا في العاصمة، وهذا الأمر ينطبق على مقر شرطة بالمدينة كذلك..

على بعد أمتار قلائل من بوابة مركز الشرطة، والتحديد في الردهة المؤدية إلى مكاتب التحقيقات، ضابط يخطو خطوات أشبه بالركض وكأنه يسابق الزمن حتى أنه لم يلتفت إلى أحد ممن استوقفوه قصد تحيته أو استشارته، أخيرا وصل وجهته، أمسك قبضة باب الغرفة التي يقف أمامها وأداره بعنف، فتح الباب دون حتى أن يهتم لأن يستأذن ممن بداخلها..

أسامة بعصبية شديدة:

- ضابط سالي.. انتباه..

داخل المكتب فتاة ترتدي حلة الشرطة، تجلس بأريحية خلف مكتبها، أو في الحقيقة لم يكن مكتبها، تضع رجلا على رجل وترتشف فنجان قهوتها باسترخاء تام، ذلك الاسترخاء الذي سرعان ما تحول إلى تشنج وتوتر وهي تنتبه للدخول العاصف للضابط الذي تنهي تدريبها على يده، قامت بسرعة البرق وتجمدت مكانها..

سالي وهي تؤدي التحية العسكرية:

- عُلِم ضابط أسامة..

اتجه نحوها أسامة والشرر يتطاير من عينيه وهو يقول بعصبية:

- ضابط أسامة ها ! وهل تركت فيها ضابطا بعد الفضيحة التي تسببت لي بها؟

انتفضت سالي من مكانها وابتعدت عنه محتمية بالمكتب الخشبي وهي تحاول فهم سبب غضب مدربها:

- سيدي.. لِمَ كل هذا الغضب؟ أؤكد لك بأنني بريئة.. أنا لم أفعل شيئا اليوم مطلقا..

اقترب منها أسامة وهو يحاول محاصرتها:

- كل هذا ولم تفعلي شيئا؟

ثم وقف مكانه وصاح بها وقد طفح الكيل بالنسبة له:

- من سمح لك أن تدعي بأنك خطيبتي؟

توقفت سالي مكانها ثم ردت وهي تدعي البراءة:

- أنا قلت ذلك؟ أخبرني من يكون ذلك الكاذب الذي تجرأ على تلفيق هذه التهمة لي وسأحرص على جعله يتعفن في زنزانة حقيرة..

دنا منها أسامة أكثر، أمسكها من ساعديها وشدها بقوة وهو يجز على أسنانه قائلا:

- من ذلك الكاذب أيتها الماكرة؟ إنه العقيد مفيد بحد ذاته..

ثم أضاف وهو يقترب منها أكثر:

- ها عزيزتي سالي؟ هل اخترت أي زنزانة تليق به أكثر أم تريدينني أن أساعدك بذلك؟

كانت سالي تحدق بالملامح الغاضبة التي ارتسمت على وجه أسامة وهي تدرك أنها لن تفلت من عقابه إلا بمعجزة.. ولحسن حظها حدثت تلك المعجزة في التوقيت المناسب.. المناسب لها هي فقط وليس لأسامة..

في تلك اللحظات فتح باب المكتب ليقف كهل يجاوز الأربعين من العمر يحدق بالثنائي الذي أوحت له وضعية وقوفهما بغير حقيقة الموقف.. ابتسم من منظرهما للحظات لكنه عاد ليرسم ملامح الجدية والصرامة..

العقيد مفيد وهو يتنحنح:

- أظنكما في العمل أيها الشابان.. تلك الأمور لا تليق بالمكان أم أنا مخطئ؟

ترك أسامة سالي بهدوء ظاهر غير أنه ظل يغمغم بصوت مخنوق محاولا السيطرة على نفسه وهو يحدق بها بطرف عينه:

- سالي.. أؤكد لك أنني سأقتلك ما أن نخرج من هنا..

وظلا واقفين مكانيهما منتظرين أوامر العقيد مفيد الذي استدار باتجاه الباب وفتحه ثم قال قبل أن يخرج:

- أردت أن أطلب منك إيصال الضابط سالي إلى بيتها يا أسامة لأن لدي قضية عالقة، لا يمكنني الخروج من المركز قبل حلها..

ثم انصرف تاركا سالي تواجه غضب أسامة بمفردها..

كانت سالي تتراجع للخلف وهي تحدق بعيني أسامة اللتين تقدحان شررا وهو يقترب منها بخطوات هادئة، خاطبته بتوتر وهي تحاول تلطيف الجو:

- سيدي.. ألا تعتقد أنه عليك أن تعرفني على طبيعة العمل هنا؟

دنا أسامة منها أكثر وهو يقول بحدة:

- هذا إن تركتك حية إلى آخر الدوام..

ثم شدها من ذراعها بعنف وهو يردف:

- هذا أول يوم لك هنا وفعلتِ بي ما فعلته.. ماذا تنوين بعد؟

ثم تركها ترتجف مكانها بعد أن انتبه إلى رنين هاتفه لتطلق المسكينة نفسا عميقا..

حمل أسامة هاتفه وخاطب صاحب الاتصال وقد تحولت ثورته إلى ابتسامة عريضة:

- سوار.. كيف خطرت على بالك يا صديقي؟

في الجانب المقابل كان سوار قد خرج من الحمام بعد أن أخذ حماما أزال به آثار تعب الرحلة السريعة، استلقى على سريره وهو يواصل كلامه مع أسامة:

- لا تقل هذا أسامة.. أظنك سمعت بما حصل معي.. أنت أول شخص أتصل به بعد أن عدت إلى البلاد..

خاطبه أسامة بأسى شديد:

- بلى يا صديقي.. أنا سعيد بعودتك سالما..

ثم أضاف بمرح:

- أخبرني.. متى سنلتقي؟

اعتدل سوار في جلسته وهو يرد:

- غدا لدي موعد مهم صباحا.. ما رأيك أن نتغدى معا في مكاننا المعتاد؟

وهكذا أغلق أسامة هاتفه بعد تلك المكالمة التي أعادت تعديل مزاجه، التفت خلفه لسالي التي كانت تختلس النظر إليه، تركها مكانها ثم اتجه إلى خزانة الملفات وأخرج منها علبة كبيرة متخمة بالأوراق غير المنظمة، وضعها بعنف على مكتبه ثم حدق باتجاه سالي بنظرة حادة وقال بعصبية:

- حسن ضابط سالي.. أريدك أن ترتبي هذه الملفات في ظرف ساعة..

ثم ابتسم بمكر وهو يخاطب نفسه:

- لنرى من سيصمد للنهاية.. أنا أم أنت..

استيقظ سوار من نومه على صوت المنبه الذي يشير للساعة السابعة، قام بتكاسل ليجهز نفسه، أخذ حمامه وارتدى بدلته الرسمية، اتجه إلى خزانة ملابسه ليأخذ منها حقيبة أوراقه، اتجه بها نحو مكتبه بالغرفة وفتحها يتأكد من أن كل الأوراق التي يحتاجها موجودة فعلا، وقتها انتبه إلى مفكرته، أخذها من الحقيبة ووضعها في الدرج أسفل المكتب وأعاد إغلاقه..

خرج سوار من فيلا الأنصاري بسيارته ليوافي موعده، تجول في الطرقات المزدحمة إلى أن لاحت له من بعيد لوحة إلكترونية أكدت له أنه في المكان الصحيح، اتجه إلى البناية المقصودة وصفّ سيارته أسفلها ثم ترجل..

استقل سوار مصعد البناية الذي أوقفه عند الطابق الثاني حيث كان متجها إلى عيادة: "الدكتور أسعد راضي للأمراض النفسية والعصبية".. دخلها وتوجه مباشرة نحو مكتب الاستقبال، ألقى التحية على الموظفة واسترسل معها بالكلام:

- مرحبا آنستي.. أنا سوار هادي الأنصاري.. سبق وثبتت حجزا مع الدكتور أسعد عبر موقعكم الإلكتروني..

أنصتت له الموظفة بتركيز بينما كانت تبحث عن حجزه على الموقع، أخيرا التفت إليه وخاطبته مبتسمة:

- سوار الأنصاري.. موعد جلستك على الساعة التاسعة تماما.. أي بعد خمس وعشرين دقيقة تماما.. استرح قليلا في مكتب الاستقبال ريثما ينهي الدكتور أسعد جلسته ويحين دورك سيدي..

وهكذا ارتمى سوار على أريكة بزاوية من مكتب الاستقبال، سحب مجلة ليتسلى بها ريثما يحين دوره..

في البلدة

كعادتها في ذلك التوقيت، كانت ليلى في حديقة القصر تجلس قرب هانتر تحاول مداعبته وإطعامه، كانت تتكلم معه بنبرة غلفها الحزن:

- هيا هانتر.. عليك أن تأكل.. لِمَ تتعبني معك كل يوم هكذا.. إن ظللت ممتنعا عن الطعام ستموت..

كانت تردد نفس العبارات مرارا كلما حاولت إطعامه، ظلت تتكلم وتتكلم إلى توقفت فجأة بعدما سمعت صوت العمة ثريا من خلفها تخاطبها باستخفاف:

- يبدو أنك لم تفقدي النطق كما كنت أظن.. ها أنت تتكلمين، ومع من؟ مع كلب الحراسة..

قامت ليلى ودقات قلبها تكاد تسمع من الرعب الذي أصابها من لهجة العمة ثريا، التفتت لها ثم قالت بتوتر:

- عمتي؟ أنا.. أنا..

أرادت العمة ثريا مواصلة الكلام مع ليلى لكنها توقفت بعد أن قاطعها صوت رئيس الخدم الذي كان يقترب راكضا وهو يحمل سماعة الهاتف اللاسلكي، وقف أمام العمة ثريا وخاطبها وهو يلهث:

- سيدتي.. هذا الاتصال لك.. إنها الآنسة نهلة..

اقتربت منه العمة ثريا وأخذت السماعة من يده مشيرة له بالانصراف، رسمت بسمة مصطنعة على شفتيها أخفت بها ملامحها الجادة على الدوام، خاطبت نهلة عبر السماعة بتودد:

- عزيزتي نهلة.. يسعدني أن أسمع صوتك مع الصباح.. كيف حالك؟

في الجانب المقابل كانت نهلة لا تزال مستلقية على سريرها الوثير تداعب خصلات شعرها، ردت بتململ على العمة ثريا:

- بخير عمتي.. اتصلت بسوار لكن الخادم أخبرني أنه غير موجود بالبلدة..

كانت العمة ثريا تصغي لكلمات نهلة بإنصات، خاطبت نفسها بغيظ شديد:

- ذلك السوار الماكر.. لم ينصت لكلمة مما قلته له.. وصل العاصمة ولم يكلف نفسه عناء الاتصال بخطيبته ووالدها.

وهكذا حاولت العمة ثريا تغيير الموضوع ريثما تتصل بسوار وتعاتبه على قلة ذوقه ولامبالاته..

في العاصمة

أخيرا حان موعد مقابلة سوار للدكتور أسعد، دخل المكتب ليجده يقف في استقباله وعلى شفتيه ابتسامة توحي بالطمأنينة والارتياح، تقدم منه وعرّف بنفسه ثم جلسا وبدأ سوار بالكلام بارتباك واضح:

- أظنني أخبرتك بكل ما حصل معي في المراسلات التي كانت بيننا..

ابتسم له الدكتور أسعد ثم رد بهدوء:

- بلى سيد سوار.. رغم ذلك أريد سماع كل القصة من جديد بلسانك..

تنهد سوار بضجر ثم خاطب الدكتور باستسلام:

- حسن دكتور.. ما الذي تريد معرفته؟

عدل الدكتور أسعد نظارته وهو يرد بنبرة جادة:

- الآن لا شيء.. لكن.. هل أحضرت ما طلبته منك سيد سوار؟

رفع سوار حقيبة وثائقه ووضعها على الطاولة الصغيرة قربه، فتحها وسحب منها عددا من الأوارق، قدمها للدكتور وهو يقول:

- تفضل دكتور أسعد.. هذا هو الملف الذي طلبته مني ..

أمسك الدكتور المغلف وسحب منه عددا من صور الأشعة وما يشبه الحافظة المتخمة بأوراق التحاليل.. تمعن فيها ما يقارب الربع ساعة قبل أن يرفع رأسه ليحدق بقسمات وجه سوار التي لازمتها الحيرة لوقت ليس بالقصير، خاطبه بهدوء:

- هل تعلم نتيجة كل هذه التحاليل التي أجريتها في أمريكا سيد سوار؟

هز سوار رأسه باستسلام تام وهو يرد:

- بلى دكتور أسعد.. كل تلك التحاليل والصور تثبت أنني سليم من الناحية البيولوجية.. لهذا أنا هنا.. لأفهم سبب ما يحصل معي..

ترك الدكتور أسعد الوثائق التي بين يديه على مكتبه ثم شبك أصابعه ببعض، عاد للتحديق بسوار وهو يسترسل في الكلام:

- سيد سوار.. المسألة لا تتعلق بفقدانك الجزئي لذاكرتك.. الموضوع أكثر تشعبا مما تظن..

حدق به سوار بحيرة:

- ماذا تعني بكلامك دكتور؟

الدكتور أسعد مسترسلا:

- حالتك هذه عمرها سنة أو ما يزيد عن ذلك.. ستة أشهر منها قضيتها في غيبوبة كاملة.. ربما بدا لك الأمر عاديا أن تدخل في غيبوبة بعد تعرضك لذلك الحادث الذي ما تفتأ تحكي لي تفاصيله.. لكن...

ثم قام من مكانه وجلس مقابل سوار وهو يضيف:

- لكن تلك الغيبوبة التي غرقت فيها لم تكن بسبب أي اختلال في وظائف الدماغ.. إنها غيبوبة نفسية..

كان سوار وقتها ينصت لكلمات الدكتور وهو يبتلع ريقه محاولا السيطرة على أعصابه، تركه ينهي تحليله ذاك ثم رد عليه بأسى وحرقة:

- بلى.. كل الاطباء أخبروني بذلك.. لكن لا أحد منهم فسر لي السبب فيما يحصل معي..

ثم شدّ قبضته وضرب بها سطح المكتب وهو يضيف بعصبية:

- حتى تلك الحادثة التي كلمتك عنها لا أذكر منها شيئا.. أنا لم أقل لك سوى ما ردده أهلي على مسامعي بعد أن ضجروا من أسئلتي التي لا تزال تبحث لها عن إجابات..

اقترب منه الدكتور أسعد وربت على كتفه محاولا التخفيف من توتره:

- سيد سوار.. ارفع رأسك واعتدل في جلستك.. خذ نفسا عميقا من فضلك.. لن نحل الأمر بطريقتك هذه..

أذعن سوار لتعليمات طبيبه، ارتمى على الأريكة بأريحية وأخذ نفسا عميقا ثم أطلقه وهو يقول باستسلام:

- إذن كيف تحل الأمور حسب رأيك دكتور؟

قام الدكتور أسعد من مكانه واقترب من مقعد سوار وخاطبه بنبرة جادة هادئة:

- سيد سوار.. أظنك تعرضت لتجربة ذات طابع خاص.. الأحداث التي سبقت الحادث الذي أصبت فيه ارتبطت بذكرى مخيفة.. ذكرى تأبى أن تطفو إلى سطح الوعي.. وجهازك النفسي يحاول الهروب منها بحيل دفاعية لا شعورية.. حيل استطاعت السيطرة حتى على جسدك وتحكمت في أعضائك ككل ..

الفصل الثالث

في الوقت نفسه كان الضابط أسامة يجلس على الأريكة الكبيرة في مكتبه مادا ذراعيه على مداهما عليها مغمضا عينيه ورافعا رأسه نحو السقف، واضعا قدميه على الطاولة المقابلة بشكل مستفز جدا يحركهما يمنة ويسارا.

تقف غير بعيد عنه سالي قرب مكتبه تحدق به بحنق شديد، وهي تنفذ العقوبة التي ضاعفها لها لكونها لم تنهِ ترتيب الملفات التي قدمها لها بالأمس..

ظلت على هذا الوضع تحاول أن تجد طريقة ترد له بها الصاع صاعين لتجاهله الدائم لها، أخيرا ارتمت على مقعده الدوار بعد أن تعبت ساقاها من الوقوف.. تململت عليه ولفت به نصف دورة قبل أن تتوقف وتتعلق عيناها بسترة أسامة المعلقة على المسند الخشبي، قامت من مكانها بلهفة، مدت يدها لتمسكها وتضمها إلى صدرها بقوة، استنشقت عطره العالق عليها وهي تغمض عينيها، أخيرا فتحتهما لتنتبه مجددا إلى حزام مسدسه الذي كانت تخفيه

الستره، جعلها الفضول تمسكه بيد وتسحب المسدس منه بيدها الثانية، وهكذا أخذت تتفحصه فيما كان أسامة يأخذ غفوة صباحية لم يكن ليحلم بها من قبل.

نعود للعيادة حيث يستلقي سوار على كرسي الاسترخاء مغمض العينين مرتخي العضلات، محاولا إطلاق العنان لذكرياته التي يختزنها دماغه والتي تشكل ملخصا لماضيه ككل.. يجلس قربه الدكتور أسعد الذي يحاول تحرير ما تختزنه تلك الذاكرة المشوشة العنيدة..

الدكتور أسعد:

-أخبرني سيد سوار.. ما هي الذكريات التي تحس أنها تشوشت لديك بعد الحادث؟

أطلق سوار نفسا عميقا ثم رد بهدوء:

-لا شيء.. ذكرياتي كلها مرتبة كاملة متكاملة.. أذكر تفاصيل طفولتي، أنا سوار الأنصاري، والدي يدعى هادي الأنصاري ووالدتي مريم عواد، لدي شقيق يصغرني بسنتين يدعى ساري.. عشنا معا في بيت العائلة الكبير، وقتها تكفلت عمتي ثريا بتربيتنا بسبب الخلافات الدائمة بين والديّ، حتي أنني أصبحت أناديها أمي ثريا.. عندما بلغت العاشرة على ما أعتقد توفي والداي في حادثة سير؛ هكذا أخبروني وقتها..

كان الدكتور أسعد ينصت للسرد المنطقي والمرتب لأحداث طفولة سوار كما رواها له، أراد منه المزيد ليحدد بالضبط الحلقة المفقودة بين تلك الذكريات..

الدكتور أسعد:

-جميل سيد سوار.. ماذا بعد؟

واصل سوار كلامه بنفس الهدوء والتركيز:

-حسن لا شي يثير الانتباه.. عشت باقي مراحل حياتي في البيت الكبير بالمزرعة تحت رعاية أمي ثريا التي عكفت على تربيتنا أنا وأخي، حتى أنها عزفت عن الزواج من أجلنا.. إلى أن أصبحت في الجامعة.. وقتها تركت المزرعة وواصلت دراستي بالعاصمة لأحصل في الأخير على شهادة البكالوريوس في اقتصاد المؤسسات.. وعدت للمزرعة مجددا لأقضي إجازتي..

ثم أضاف وهو يبتسم بتهكم:

-حسن لم تكون إجازة بمعنى الكلمة.. بل لنقل عطلة استجمام أظنها جاوزت الثلاث سنوات.. عشت كشاب مدلل عاطل عن العمل لا هم له سوى اللهو والتبجح بثراء عائلته الفاحش..

الدكتور أسعد:

-تقصد أنك لم تعمل بعد تخرجك من الجامعة إطلاقا..

ابتسم سوار باستخفاف وهو يجيب:

-ولِمَ أعمل وأنا سليل عائلة الأنصاري؟ وابن أخ إسماعيل الأنصاري صاحب شركة "أنتيدويت للصناعة الصيدلانية.."

تنحنح الدكتور أسعد ثم أردف:

- ثم ماذا حصل؟

عندها اعتصر سوار عينيه محاول تجميع شظايا تلك الذكريات الأخيرة التي علقت في مخيلته:

- لم يحصل الكثير.. أقصد لست أذكر الكثير مما حصل بعدها.. آخر شيء طبع في دماغي تجمع العائلة بالمقبرة في جنازة عمي إسماعيل.. أذكر ذلك اليوم جيدا.. لقد شاركت في دفنه وفي استقبال المعزين لأسبوع كامل.. إلى أن...

ثم توقف لبرهة يلتقط فيها أنفاسه قبل أن يواصل:

- إلى أن طلب منا المحامي أن نحدد موعدا لقراءة وصية عمي.. واجتمعنا بانتهاء العزاء ..

الدكتور أسعد بتركيز تام:

- وماذا حصل بعدها؟

فتح سوار عينيه واعتدل في جلسته، حدق بالدكتور مطولا ثم قال وهو يطلق تنهيدة من أعماق صدره:

- بعدها فتحت عيني لأجدني في مكان غريب على سرير أبيض، علمت بعدها أنني قضيت ستة أشهر كاملة نائما عليه.. أو بعبارة أصح؛ لم يكن نوما بل..

ثم أطرق رأسه وهو يردف:

- بل غيبوبة كاملة مسحت ما قبلها من ذكريات كما ترى دكتور..

أفاق أسامة وقد اخترق مسامعه صوت طلق مدوٍّ كاد يفجر أذنيه، وجد نفسه واقفا وعيناها الجاحظتان معلقتان على مصدر الصوت أين تقف سالي ممسكة بمسدسه وكل جسدها يرتجف من الخوف..

اتجه نحوها راكضا وسحب المسدس من يدها في اللحظة التي دخل فيها العسكري الذي يقف عند باب مكتبه محاولا معرفة ما الخطب، حدق بالثنائي وسأل أسامة بارتباك:

- هل أنت بخير سيدي؟

حدق به أسامة بنظرة جادة ثم رد بهدوء:

- أنا بخير لا داعي للقلق.. لقد انطلقت الرصاصة من مسدسي دون أن أنتبه.. يمكنك الانصراف وأنا سأكتب تقريرا بذلك..

بانصراف العسكري التفت أسامة لسالي التي لم تتحرك منذ انطلقت الرصاصة من المسدس، رجها بهدوء وهو يقول:

- سالي.. هل أنت بخير؟

وقتها عاد لإغلاق عينيه وقد آلم أذنيه صوت صراخها الحاد، اقترب منها محاولا جعلها تتوقف عن البكاء لكن دموعها كانت تزداد انهمارا، ظل يحدق بمنظرها الطفولي ذاك إلى أن قادته سجيته إلى ضمها إلى صدره وهو يقول بتودد:

- توقفي سالي.. لقد انتهى الأمر.. أنت بخير لا تقلقي عزيزتي..

وظل على تلك الحالة دقائق إلى أن زال تشنج سالي وبدأت تتحكم بأعصابها المنهارة، خاطبته وهي ترتشف ما تبقى من دموعها:

- أنا آسفة أسامة.. لم أكن أعلم أن المسدس ملقم.. أظن أن العقيد مفيد سيعاقبني..

أبعدها أسامة عنه قليلا ثم رد مبتسما:

- لا تقلقي عزيزتي.. لن يعلم غيرنا أنك أنت من أطلق الرصاصة.. هل تعلمين لِمَ؟

رفعت سالي رأسها باتجاهه وهي ترد بدلال:

- لِمَ أسامة؟

عندها شدها أسامة من ذراعيها بعنف وهو يردف بعصبية شديدة:

- لأنني إن فعلت ذلك سأتهم بالإهمال والاستهتار أيتها الحمقاء..

في البلدة

كانت العمة ثريا في غرفة المكتب تلف داخلها ممسكة المحمول بعصبية هي تتمتم بعبارات غاضبة:

- سوار.. رد أيها الفتى المستهتر.. هذا ما أوصيتك به؟ تقضي يومين في العاصمة ولا تكلف نفسك عناء الاتصال بخطيبتك؟

وظلت على تلك الحال إلى أن انتبهت لا إراديا إلى الصورة المعلقة في صدر الغرفة، إنها صورة المرحوم إسماعيل الأنصاري، حدقت بها مطولا ثم خاطبتها مقطبة حاجبيها وكأنها تخاطب شقيقها:

- إسماعيل.. أنت السبب في كل ما حصل.. ما الذي كنت تفكر به عندما فعلت فعلتك الغبية تلك؟

ثم التفتت باتجاه باب الغرفة وتقدمت مغادرة وهي تردف بهدوء:

- على كل.. لقد عادت الأمور إلى سابق عهدها.. وكأن شيئا لم يكن..

في العاصمة

كانت سالي تجلس على الأريكة في مكتب الضابط أسامة تمسك قلما ودفترا تدون عليه ما يقال أمامها، كانت تحدق بالثلاثي: العسكري الواقف باحترام، والشاب الجالس على مقعد يمين المكتب والذي يفرك يديه ببعضهما ويحرك قدميه على الأرضية بعشوائية واضطراب.. وأسامة الجالس خلف مكتبه يقوم بالتحقيق مع الشاب في قضية سرقة وتخريب ممتلكات خاصة..

كانت تسجل كل ما يجري أمامها، حركات أسامة، وأسلوبه الهادئ في طرح الأسئلة، عيناه المثبتتان على عيني المتهم، خاطبت نفسها باستخفاف:

- لطيف حتى مع المجرمين.. لا يظهر عصبيته إلا عليّ أنا وحدي ..

ثم التفتت للمتهم وأردفت وهي تدون:

- من حركة يديه يبدو لي متوترا جدا.. ترى لِمَ؟ ألأنه متورط فعلا في الجريمة أم لأنه يتهم لأول مرة في قضية من هذا النوع؟

وهكذا أنهيا ما تبقى من تلك الصبيحة في التحقيق في قضية السرقة والتخريب تلك..

بخروج المتهم ألقى أسامة بجسده على مقعده الدوار ومد ذراعيه على مداهما وهو يقول بصوت منهك:

- أخيرا أقفلت القضية..

اقتربت منه سالي ثم ردت باستخفاف:

- أقفلت؟ تقصد أنك علمت إن كان هذا الشاب من فعلها أم لا؟

خاطبها أسامة بلامبالاة:

- واضح أنه متورط فعلا.. ألم تري بعينيك حركاته المضطربة وتسمعي بأذنيك إجاباته المتناقضة؟

جلست سالي على مقعدها ثم استرسلت في الكلام بجدية غير معهودة منها:

- حسن أستطيع تبرير اضطراب حركاته بأنه يقف لأول مرة في مواجهة موقف كهذا.. أقصد أنه لم يتوقع أن يجد نفسه بين ليلة وضحاها متهما بقضية سرقة وإتلاف ممتلكات خاصة.. وليس لأنه خائف من أن يكشف أمره..

أنصت أسامة لتحليلها بتركيز شديد ثم سألها:

- وكيف تفسرين أقواله المتضاربة سالي؟

قلبت سالي وريقات دفترها واسترسلت:

- واضح أنه كان يكذب أو يخفي أمر ما.. لكن لا أظنه كان يقصد إخفاءه عنا نحن بالذات..

رفع أسامة حاجبيه مستغربا جوابها، خاطبها قائلا:

- ماذا تقصدين؟

أردفت سالي بهدوء:

- أظنه يحاول إخفاء مكان تواجده وقت وقوع الجريمة لأن الأمر قد يتسبب له بمشاكل عائليه أو شخصية.. أظنك تفهم قصدي أسامة..

ابتسم لها أسامة فيما عاد ليلقي رأسه على مقعده وهو يرد بأريحية:

- معك حق.. التحقيقات أثبتت أنه كان في ذلك التوقيت بالتحديد في شقة تملكها سيدة أظنها زوجته.. وأظنه يحاول إخفاء الأمر عن زوجته الأولى وأولاده..

ما أن أنهى أسامة كلماته تلك حتى وقفت سالي وضربت المكتب بقبضتها وهي تقول بغضب:

- إن كنت تعلم ذلك فلِمَ طلبت رأيي؟

ابتسم لها أسامة باستخفاف وهو يرد:

- أردت التأكد من أنك خريجة كلية الشرطة فعلا.. ثم أضاف وهو يقوم غاضبا هو الآخر:

- لأن ما فعلته صباحا بالمسدس جعلني أشك في أنك ضابطة أيتها المجـ...

وتوقف عن الكلام عندما رن هاتفه، حمله ليجده اتصالا من صديقه سوار، ضغط السماعة ورد بسعادة:

- سوار.. كيف حالك يا صديقي؟

كان سوار قد خرج من العيادة واستقل سيارته ليوافي أسامة على موعدهما، أراد الاتصال به لتذكيره بالأمر..

سوار عبر سماعة الهاتف:

- بخير أسامة.. أين أنت الآن؟ أظنك لم تنس موعدنا أليس كذلك؟

أنصت أسامة لكلمات سوار، ثم رد عليه فيما كان يرتدي سترته ويبحث عن مفاتيحه:

- كلا سوار.. أنا قادم الآن.. سأوافيك بعد نصف ساعة عند فندق الواحة..

ثم أغلق هاتفه والتفت لسالي ليودعها، لكنها قاطعته بلهجة مستخفة غاضبة:

- سوار الأنصاري.. أتساءل ما الذي يجعلك ترافق ذلك الثري الوغد اللئيم؟

اقترب منها أسامة بخطوات هادئة، حدق بعينيها بنظرات حادة، خاطبها وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة:

- السبب بمنتهى البساطة أنني وغد ولئيم.. مثله تماما..

ثم ابتعد عنها وهو يضيف بضيق:

- لذا أنصحك بعدم العبث معي.. أراك لاحقا..

أخيرا توقفت سيارة سوار في موقف فندق الواحة، ترجل منها واتجه بخطوات سريعة نحو الحديقة الأمامية، تمشى في الرواق يريد دخول الفندق لكنه توقف فجأة..

وقف سوار متسمرا مكانه وقد تعلقت عيناه بتلك الفتاة القادمة من الاتجاه المقابل، فتاة ترتدي ملابس كلاسيكية باللون اللبني، تضع على عينيها نظارة شمس تغطي معظم وجهها،

كانت ترتدي قبعة بيضاء تحاول تثبيتها على شعرها الذهبي الذي بالكاد يلامس كتفيها، فتاة تبدو في غاية الرقي وجاذبية..

ظل سوار واقفا مكانه يحدق بها بتمعن شديد ونبضات قلبه تتسارع، كان يحاول تمالك رغبته التي كانت تلح عليه للاقتراب من الفتاة التي لم يعلم ما الذي فعلته بكل كيانه..

كانت الفتاة تتمشى في الرواق وكل انتباهها منصب على تعديل قبعتها على رأسها، مرّت قرب سوار وتقدمت خطوات مبتعدة عنه، لم تنتبه له إلا عندما أحست بأن هناك من قبض على معصمها فجأة، وقتها التفتت خلفها لتقع عيناها على الشاب الذي يحدق بها بنظرات غريبة غير مفهومة.. حدقت به وقد ارتسم الخوف على ملامحها، عادت للتحديق بساعدها الذي أطبقت عليه قبضة سوار.. تماما كالسوار..

اقترب سوار من الفتاة التي تملكها الرعب وبدأت كل أطرافها ترتجف، خاطبها برهبة:

- أنا.. أنا.. أنا أعرفك أليس كذلك؟

ثم ترك ساعد الفتاة وأردف وهو يقترب أكثر:

- أقصد أننا نعرف بعضا جيدا؟ أرجوك أخبريني..

وقتها أمسكت الفتاة قبضتها بيدها وظلت تحدق بملامح سوار التي بدا عليها التشوش والارتباك، أرادت الانصراف بسرعة لكنها توقفت بعد أن أحكم سوار قبضته على ساعدها مجددا، التفتت إليه وقد تبدلت ملامح الوجوم على وجهها إلى نرفزة، أرادت الصياح به لكنها توقفت بعد أن التقطت أذناها كلمات سوار التي جاءت كالسهم المنطلق من مكان مجهول:

- أنا لا أذكر إن كنت أخبرتك بهذا من قبل أم لا.. لكنني أحبك..

الفصل الرابع:

- أنا لا أذكر إن كنت أخبرتك بهذا من قبل أم لا.. لكنني أحبك..

قال ذلك بثقة لم يكن يعلم مصدرها، فهذه هي المرة الأولى التي رأى فيها الفتاة وتكلم معها.. إذن كيف أحبها؟ ومتى؟

في تلك اللحظات سحبت الشابة معصمها من قبضته التي أحكمها عليه لكي لا تهرب منه، أسرعت بخطوات مبعثرة مبتعدة عنه ونبضات قلبها تكاد تخترق صدرها..

وقتها أفاق من شروده ولحقها ليدركها عند البوابة، شدها من معصمها مجددا وأدارها باتجاهه، حدق في عينيها بنظرات منكسرة متوسلة:

- أرجوك اسمعيني.. أعلم أن ما قلته لك غريب جدا.. أنا لا أعلم ما اسمك ولا من تكونين ولا حتى إن كنا التقينا من قبل أم لا..

ثم أضاف بنبرة هادئة حانية:

- كل ما أعلمه حقيقة.. أنني مغرم بك..

قال كلماته تلك ثم توقف بعد أن أدرك أنه لم يعد يفهم مما يحصل معه شيئا، أراد أن يضيف شيئا، أن يعتذر عما قاله لها، لكن لسانه لم يكن يطاوعه، أخيرا انتبه إلى الشابة التي نطقت أمامه لأول مرة، ليكتشف أنها لم تكن تفهم شيئا مما تفوه به أمامها بعد أن قالت بلغتها الانجليزية التي حملت لكنة غريبة:

- هل أنت مجنون؟

ثم التفتت لمن تجمع حولهما في الرواق وأضافت:

- فليطلب أحدكم أمن الفندق من فضلكم..

ثم انصرفت بسرعة تاركة سوار مكانه، كان يريد اللحاق بها لولا أن أمسك به بعض الرجال محاولين تهدئته ومنعه من مضايقة الشابة..

في تلك اللحظات تماما وصل أسامة الذي لفت انتباهه تجمع عدد من الشباب حول صديقه الذي لم يره من أزيد من السنة، دفع الأجرة لسائق التاكسي بسرعة وترجل، اقترب أكثر ليرى بعضهم يحاولون تكتيف حركة سوار ما

جعله يشعر بالقلق..وهكذا تقدم أسامة نحو التجمع وهو يسحب تأشيرة الشرطة ويقول بلهجة قلقة محذرة:

- ما الذي يحصل هنا؟ دعوا الشاب وشأنه..

وفي لحظة تفرق الجمع خوفا من أي اشتباه في أحدهم، ليقترب أسامة من سوار الذي كان لايزال الوجوم مسيطرا على قسمات وجهه وكل أطرافه ترتجف وكأنه رأى شبحا ما، رجه من كتفيه بقوة وهو يقول بقلق:

- سوار.. سوار.. هل أنت بخير يا صديقي؟

وقتها أفاق سوار من شروده ذاك لترمش عيناه فجأة وتتعلقا بوجه صديقه الذي بدا عليه الرعب هو الآخر، شده من كفه وهو يقول بخوف:

- أسامة.. لنغادر وسأخبرك بكل شيء..

وهكذا انصرفا بخطوات مستعجلة نحو السيارة وانطلقا مبتعدين عن الفندق..

على بعد أمتار في إحدى كافتيريات العاصمة الراقية، يجلس سوار إلى طاولته متكئا على ساعده وهو يتأفأف بضيق منتظرا أن يصحو صديقه أسامة من نوبة ضحكه التي طالت..

كان أسامة يضحك بقوة وهو يحاول التفوه بكلمات مفهومة بلا جدوى:

- لا أصدق أن تبلغ بك الجرأة والوقاحة هذا الحد.. ظننتك أصبحت عاقلا يا روميو زمانك..

خاطبه سوار بنرفزة:

- هل تعتقد أنني كنت أعاكسها يا أسامة؟

رد عليه أسامة مبتسما بعد أن استطاع التحكم بضحكه:

- إن لم تكن تعاكسها.. أخبرني ماذا كنت تفعل إذن يا سوار؟

أنصت له سوار ثم رد وهو يبتسم بعد تفكير سريع:

- كنت أعاكسها.. من الجيد أنها أجنبية ولم تفهم ما قلته لها..

عندها ضحك أسامة وهو يضيف:

- أجل.. وقتها كنا أكملنا لقاءنا في مركز الشرطة يا صديقي..

بعد يوم طويل مرهق مليء بالمفاجآة عاد سوار إلى فيلا الأنصاري، اتجه مباشرة إلى غرفته ليلقي بجسده على سريره، أغمض عينيه برهة ثم فتحهما على رنين هاتفه، حمله ليجده اتصال من العمة ثريا، رد على الاتصال بتململ وإنهاك:

- أمي.. كيف حالك؟

ردت عليه العمة ثريا بعصبية واضحة:

- كيف سأكون وأنا أحاول الاتصال بك منذ سبع ساعات؟

خاطبها سوار باستسلام وهو يمرر يده على رأسه بضيق:

- أنا آسف أمي.. هل الأمر مهم؟

عادت العمة ثريا لتجيب بنرفزة:

- الموضوع أنك لا تلق بالا لما أطلبه منك.. لِمَ لم تتصل بنهلة؟

سوار بهدوء:

- سأتصل بها أمي لا تقلقي.. وسألتقيها غدا من أجلك أنت فقط.. ها هل أنت راضية؟

وقتها ابتسم سوار وهو يسمع عمته تتنحنح وقد شعرت بالرضا ثم ترد:

- حسن.. أتمنى أن لا يكون مجرد كلام يا سوار..

بانتهاء المكالمة ألقى سوار بهاتفه بجانبه على السرير وأغمض عينيه لترتسم صورة تلك الشابة التي قلبت كيانه وشغلت باله.. وجعلته يتصرف بجنون، ابتسم رغما عنه ابتسامة تلقائية عريضة، ثم فتح عينيه بعد أن تذكر غرضا مهما عليه تفقده..

قام سوار عن سريره واتجه نحو مكتبه، فتح الدرج وسحب المفكرة منه، جلس على الكرسي ثم قلّب وريقاتها ليتوقف عند الصفحة التي كان قد توقف عندها، أخذ نفسا عميقا ثم تلى تلك الكلمات مجددا:

- الخامس والعشرون من شباط.. إنه اليوم الأول الذي ينطق فيه اسمك على مسامعي.. "ريهانا".. على الرغم من كل شيء إلا أن وقعه كان مختلفا جدا على أذني.. طبعا هذا لا ينفي أن ظهورك قد قلب كل الحسابات رأسا على عقب..

واسترسل سوار في القراءة وهو يعيد ترتيب أحداث ذلك التاريخ وكأنه يعيشه لأول مرة..

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

أخيرا انتهت مراسم الدفن والعزاء، لقد كان أسبوعا حافلا، مرهقا، وكئيبا جدا.. تلقت عائلة الأنصاري التعازي في المرحوم إسماعيل. صاحب أكبر شركة خاصة لتصنيع الأدوية

في البلاد ـ من أكبر قامات وقيادات الدولة، حتى أن بعضهم تنقل شخصيا إلى تل العاج مسقط رأس المرحوم ليقدم واجب العزاء لعائلته، تلك العائلة التي تجمعت صبيحة هذا اليوم في غرفة المكتب حسب طلب محامي السيد إسماعيل لفتح وصيته وقراءتها كما كان مقررا..

على الأريكة الكبيرة في صدر الغرفة تجلس العمة ثريا بثوبها ووشاحها الأسودين تحاول جاهدة أن تبدو في قمة تماسكها، على يمينها سوار إبن أخي المرحوم ـ هادي الأنصاري ـ وعلى يسارها شقيقه ساري..

على الأريكة المتوسطة إلى اليمين يجلس السيد محمود وزوجته السيدة منيرة، وغير بعيد عنهما ابنتهما ليلى..

أخيرا فتح المحامي كامل بدران حقيبته وأخرج منها مغلفا جلديا عليه الختم الخاص بالسيد إسماعيل تأكيدا منه للعائلة بأن المغلف لم يفتح منذ أغلق.. تنحنح ثم خاطب الجميع فيما كان يشد طرف المغلف بقوة ليمزقه:

- حسن يا سادة.. هذه هي وصية المرحوم.. لقد سحبتها اليوم من خزنته الخاصة في بنك البلدة، تماما كما طلب هو مني..

قاطعته السيدة منيرة بتوتر وقلق:

- لِمَ الوصية سيد كامل؟ ألم يكن يريد توزيع ثروته حسب الشرع؟

التفت لها السيد كامل ثم رد فيما كان يقلب أوراق الوصية بين يديه:

- كلا سيدة منيرة.. أنت تعلمين أن السيد إسماعيل لا يمكنه أن يفعل أمرا مخالفا للشرع.. خصوصا وهو على فراش الموت..

ثم أضاف وهو يرتدي نظارته ويسحب بعض الأوراق جانبا:

- حسن يا سادة.. هذه الأوراق فيها حصر لكل ممتلكات السيد إسماعيل.. أظن أنه لا داعي لذكرها فأنتم على علم بها..

ثم واصل وهو يحدق بالوجوه تارة ويقرأ أسطر الوصية تارة أخرى:

- السيدة ثريا الأنصاري.. لقد كنت أقرب شخص للمرحوم، ولأنه يعلم مدى تعلقك بالمزرعة فقد كتب لك

- نصف أراضيه هنا، إضافة إلى عشرة في مائة من أسهم شركة أنتيدويت للأدوية..

- أما حضرتك سيد محمود فعلى اعتبار أنك لا تأتي إلى تل العاج إلا في المناسبات فقد كان نصيبك من التركة عبارة عن أسهم في الشركة.. أنت الآن تملك أربعين في المائة من سلسلة معامل الأدوية إضافة إلى السيولة المالية التي تركها في البنك..

وقتها ارتسمت ابتسامة عريضة على محيّ الزوجين رغما عنهما لأن هذا ما كانا يريدانه من البداية، تلك الابتسامة التي أختفت سريعا خشية أن تثير حفيظة البقية في هذا الظرف الحزين..

أخيرا التفت المحامي لكل من سوار وساري ثم واصل:

- بالنسبة للسيدين سوار وساري فهما لا يعتبران من الورثة لأن والدهما السيد هادي توفي قبل السيد إسماعيل بسنوات طوال.. لكنكما تعلمان أنه كتب لكما فيلا العائلة في العاصمة في حياته.. إضافة إلى حسابيكما البنكيين..

أنصت الشقيقان لكلمات المحامي ثم ابتسما له بخفوت ولم يردا، لكنهما انتبها على صوت السيدة منيرة التي خاطبت المحامي بغضبب عارم:

- مادام ليسا من الورثة فلا الفيلا ولا الرصيدان من حقهما سيد كامل..

أرادت العمة ثريا الرد على وقاحتها التي لم تعد تحتملها لكنها توقفت على وقع كلمات المحامي الذي كان رده على كلامها حاسما وغير قابل للنقاش أو حتى للطعن فيه، ابتسم لها وهو يرد:

- في هذه الحالة سيدة منيرة علينا أن نلغي الحساب البنكية لابنتك الآنسة ليلى كذلك.. أظن أنه يحتوى مبلغا مساويا تماما للمبلغ الموجود في حساب السيدين سوار وساري.. وفوقه ثمن الفيلا كذلك..

ذلك الرد الذي جعل السيد محمود يحدق بزوجته بنظرات محذرة وهو يرد بسرعة على المحامي:

- أرجوك سيد كامل.. لا تؤاخذ زوجتي فلا خبرة لها في مثل هذه الأمور..

ثم التفت للمحامي وهو يضيف باستغراب:

- لكن سيد كمال.. أظن أن كل تلك الأموال والأراضي والأسهم لا تشكل سوى نصف ما يملكه شقيقي.. ماذا عن النصف الباقي من الأسهم وأراضي المزرعة.. وقصر العائلة هذا؟ لمن سيؤول كل هذا يا ترى؟

في تلك اللحظة تماما انتبه الجميع إلى تلك الجزئية التي غابت عنهم، وقتها التفتوا للمحامي وأعينهم تتساءل نفس الأسئلة ..

كان المحامي كامل ينظر إلى تلك الوجوه التي بدى عليها الاستغراب والتساؤل والترقب، وضع الأوراق جانبا ثم شبك أصابعه ببعض وخاطب الحضور بهدوء وترقب لردود أفعالهم:

- نصف التركة المتبقي بما فيه قصر العائلة هذا يا سادة سيؤول وحسب الشرع والقانون إلى ابنته الوحيدة.. الآنسة ريهانا إسماعيل الأنصاري ..

* * *

أغلق سوار المفكرة بعنف، رفع رأسه وحدق بالجدار إلى جواره بعينين جاحظتين من المفاجأة وهو يقول بذهول:

- عمي إسماعيل لديه ابنة!

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي كان سوار قد استيقظ مبكرا ليلتحق بالشركة ويتابع المستجدات بها، ارتدى ثيابه بسرعة ونزل لتناول طعامه في غرفة الطعام، وقبل انصرافه طلب فنجان قهوة بينما كان يتفقد هاتفه، انتبه إلى رسالة صباحية من عمته تذكره فيها بالاتصال بخطيبته، ابتسم رغما عنه لإصرارها المستمر على توطيد العلاقة بينهما، بحث بسرعة عن رقم نهلة وهاتفها، خاطبها عبر الهاتف:

- مرحبا حبيبتي.. اشتقت لك..

بعد جهد جهيد من أجل طرد آثار النوم تمكنت نهلة من التقاط هاتفها الملقى على التسريحة قرب سريرها، ردت على سوار بنبرة مشبعة بالنعاس والدلال:

- طبعا.. اشتقت لي إلى درجة أنك في العاصمة منذ يومين ولم تكلف نفسك عناء زيارتي أو حتى مهاتفتي..

ارتشف سوار القليل من فنجان قهوته بينما كان ينصت لعتاب نهلة، عاد ليكلمها بتودد:

- هيه حبيبتي.. لا تغضبي مني.. تعلمين أنني أحاول جاهدا تسوية وضع معامل أنتيدويت لأستطيع التفرغ لتجهيزات زواجنا..

ردت عليه نهلة بملامة:

- لو أنك قبلت عرض والدي لكنا الآن نقضي شهر عسلنا في أكبر عواصم العالم..

ما أن التقطت أذنا سوار كلمات نهلة تلك حتى وضع فنجانه ورد بعصبية شديدة:

- نهلة.. إن كنت ترغبين في استمرار علاقتنا فلا تأتِ على ذكر الموضوع..

خاطبته نهلة بدلال محاولة تعديل مزاجه الذي تعكر:

- أنا آسفة حبيبي لن أعود لهذا الموضوع مجددا.. ما رأيك أن تأتي مساء لتناول العشاء في بيتنا؟

سوار بهدوء:

- حسن نهلة.. سأنهي بعض الأمور العالقة وأزورك مساء.. وهكذا أنهى المكالمة واستقل سيارته باتجاه مقر شركة أنتيدويت..

عند بوابة مركز الشرطة تقف سيارة مداهمة تطلق كشاف الإنذار، تقدمت باتجاهها سالي التي وصلت لتوها إلى هناك، حدقت بها مطولا فيما كانت تجتاز البوابة لتصطدم فجأة

بأسامة الذي أقبل راكضا.. أمسكها من ساعدها بعد أن ترنحت نتيجة الصدام وهو يقول معتذرا:

- أنا آسف سالي ..

وقفت سالي باعتدال ثم ردت على أسامة بتساؤل:

- ماذا يحصل هنا أسامة؟

اتجه أسامة نحو الباب الأمامي للسيارة، فتحه ووقف لبرهة أمامه يخاطب سالي:

- سنقوم بمداهمة على مستودع لتخزين السيارات المسروقة وتفكيكها.. لقد وصلتنا الإخبارية منذ دقائق..

ثم أضاف:

- هل تريدين الذهاب معنا؟

ثم أردف وهو يرى ملامحها المترددة:

- هيا اصعدي سالي.. علينا أن نكون هناك في غضون ساعة لا غير..

وهكذا لم تجد المسكينة مفرا من مرافقة الوحدة لأنها ستكون بذلك قد خالفت أوامر رئيسها، إضافة إلى أنها لم تشأ أن يُنظر إليها من قبل زملائها على أنها فتاة مدللة جبانة..

في ذلك الوقت كان سوار خلف مكتبه بالشركة يراجع أوراق الصفقة الجديدة رفقة محامي العائلة السيد كامل، قضيا معا ما يجاوز الساعتين على نفس الحال يدققان بنود العقد بندا بندا..

في منتصف حديثهما أشار المحامي(

كامل إلى مسألة هامة محاولا تنبيه سوار إليها:

- هل تعتقد أن الشريك سيوافق على هذه النسبة من الأسهم؟ أظنه يدرك أن شركاتنا تخسر..

التفت إليه سوار وهو يرد بقلة حيلة:

- أنا حددت نسبة الثلاثين بالمائة كحد أدنى وأنا أدرك بأنه سيساومنا على أكثر من ذلك..

وقتها ترك السيد كامل قلمه والأوراق التي بيده وهو يستفسر متعجبا:

- لِمَ لم تقبل عرض حماك السيد أيمن بدل السعي خلف شراكة مستثمر أجنبي لا ندري إلامَ يسعى من وراء هذه الشراكة؟

ما أن أنهى السيد كامل عبارته حتى انتفض سوار قائما من مكانه وهو يجز على أسنانه قائلا بغضب عارم:

- أنا لن أشارك السيد أيمن حتى وإن خسرت كل شيء سيد كامل.. والآن لنعد إلى عملنا، لدينا الكثير من الأمور التي لم نحسمها بعد..

أخيرا وصلت سيارة المناورات تحمل بداخلها الضابط أسامة بكامل وحدته، توقفت خلف بعض المباني التي كانت تحجبهم عن المستودع المقصود، التفت إلى سالي ومد يده التي يحمل بها مسدسا وهو يقول بحزم:

- خذي هذا لتحمي به نفسك.. أظن أن العصابة مسلحة..

أمسكت سالي بالمسدس بيد مرتجفة وهي تتذكر ما حصل معها في المكتب بالأمس، أرادت الكلام مع أسامة لكنه كان قد دفع باب السيارة وترجل ثم أشار لكل أفراد الوحدة بمحاوطة المستودع، بما فيهم سالي..

لم تكن سالي تعلم ماذا عليها أن تفعله في مثل هذه المواقف لذا ظلت تتبع أسامة خطوة بخطوة، إلى أن وجدته يتسلل إلى المستودع عبر النافذة بخفة، فحاولت فعل نفس الشيء إلى أن نجحت لتجد نفسها أخيرا بداخل معمل مظلم مليء بالخردة، أرادت اللحاق بأسامة لكنها

اكتشفت أنها فقدت أثره، أخيرا وقفت مكانها وقد تمكن منها الخوف والحيرة والتوتر، ظلت واجمة مكانها ترفع مسدسها أمامها إلى أن انتفضت مرتعبة بعد أن أضيئت المصابيح وانطلقت أصوات الرصاص فجأة دون سابق إنذار، ظلت تلتفت خلفها محاولة حماية نفسها وهي توجه مسدسها هنا وهناك، كانت تحدق بأفراد الوحدة الذين لم تكن لتتعرف عليهم لولا ملابس الشرطة الرسمية، كانوا يتحركون بخفة بينما يتساقط أمامها بعض الرجال المجهولين وقد أصيبوا برصاصات في أماكن مختلفة من أجسادهم، تلك المناظر الرهيبة جعلتها تغمض عينيها بقوة وتصرخ لا إراديا.. إلى أن سكنت بعد أن أحست بأن إطلاق النار توقف ولم تعد تسمع سوى وقع الأقدام، أخيرا فتحت عينيها بعد أن اخترق أذنيها صوت ضحكات ألفتها..

تقدم أسامة من سالي وصوت قهقهاته قد شقت صمت المكان المفاجئ، حدق بها بينما كان يعيد مسدسه إلى حزامه ثم قال ساخرا:

- هل هذا منظر شرطية؟ انظري إلى نفسك أيتها المدللة.. أنت لا تصلحين للعمل في مجالنا يا صغيرتي..

كانت سالي تنصت لكلمات أسامة الساخرة التي جعلت الدموع تتجمع في عينيها فعلا، حدقت به بنظرات حادة قبل أن توجه مسدسها نحوه وتضغط على الزناد لتنطلق أولى رصاصاتها باتجاهه..

إنها الثامنة مساء، اتصلت نهلة بسوار لتذكره بموعد العشاء لذا أنهى عمله الذي أخذ كل يومه وانطلق إلى فيلا السيد أيمن الرفاعي.. ووصلها في غضون ساعة بعد أن توقف ليشتري هدية لخطيبته..

ترجل سوار من سيارته التي أوقفها في حديقة فيلا الرفاعي، واتجه سريعا نحو السلالم ليتوقف في منتصفها وهو يبتسم بعد أن لمح نهلة تفتح الباب وتخرج مسرعة لاستقباله، اقتربت منه وعانقته بقوة حتى كادت توقعه، أخيرا ابتعدت عنه ثم قالت معاتبة:

- لِمَ تأخرت حبيبي؟

ابتسم لها سوار فيما كان يرد:

- أنا آسف حبيبتي..

ثم أضاف وهو يغمز لها:

- لقد ازددت جمالا في فترة غيابي عنك حبيبتي..

وهكذا وقفا لبرهة يتكلمان إلى قاطعهما صوت السيد أيمن مرحبا بخطيب وحيدته:

- هل ستتركين خطيبك واقفا في على السلالم طويلا عزيزتي؟

في حديقة مشفى المدينة توقفت سيارة العقيد مفيد الذي ترجل منها بسرعة ودخلها لتفقد الوضع بعد الأخبار المفاجئة التي وصلته.. اتجه إلى مكتب الاستقبال ليسأل عن الغرفة التي حجزت لأحد أفراد الوحدة التي تعمل تحت إمرته، رافقه أحد الموظفين إلى هناك ليجد أسامة أمام الغرفة المذكورة في انتظار أن يخرج الطبيب لطمأنته..

كان أسامة يروح جيئة وذهابا أمام إحدى غرف المشفى، والتوتر واضح جدا على ملامح وجهه، وما أن رأى العقيد مفيد مقبلا باتجاهه حتى وقف باعتدال وأدى التحية العسكرية، خاطبه السيد مفيد على الفور:

- ماذا حصل مع سالي؟ هل أصابها مكروه؟

اقترب منه أسامة ورد عليه مطمئنا:

- كلا سيدي.. هي بخير لا تقلق..

عاد السيد مفيد ليسأله بهدوء:

- أخبرني بالتفصيل بما حصل..

تنحنح أسامة ثم رد مباشرة وهو يطأطئ رأسه:

- لقد شاركت مع الوحدة في مداهمة مستودع السيارات.. وقد أبلت بلاء حسنا.. حتى أنها أنقذت حياتي من موت محتم..

أنصت السيد مفيد لكلمات أسامة التي بدت له غامضة، خاطبه مجددا:

- ماذا تقصد بأنها أنقذت حياتك؟ لم أفهم..

وقتها رفع أسامة رأسه، حدق بالعقيد ثم رد بنبرة جادة:

- عندما اقتحمنا المستودع توزعت الوحدة في كل شبر بالمكان، ولأن أفراد العصابة كانوا مسلحين فاجأناهم بإطلاق الرصاص المطاطي عليهم ليسهل علينا إلقاء القبض على الكل.. إلى أن سقط الجميع أرضا.. وقتها أعدنا أسلحتنا مكانها.. لم أكن أعتقد أن هناك من يختبئ بالقرب من موقع وقوفي يتحين الفرصة المناسبة ليصيبني.. لكن الفضل لسالي التي لاحظت تحركات الوغد خلفي وتوجيهه لمسدسه نحوي.. لقد أطلقت رصاصة على يده جعلته يلقي سلاحه رغما عنه..

في فيلا الرفاعي كانت نهلة تحاول إسراع بخطواتها لتلحق سوار الذي خرج غاضبا بعد زيارة تحولت فجأة إلى جلسة عمل مع السيد أيمن، أخيرا أدركته وهو يقوم بفتح باب سيارته، تعلقت بذراعه وهي تقول بتودد:

- ما بك حبيبي؟ هل بدر من والدي ما يزعجك؟

حدق بها سوار ثم رد بعصبية شديدة:

- اسمعيني نهلة.. من اليوم فصاعدا إن أردت أن نلتقي فليكن بعيدا عن والدك.. لا أريد أن أسمع منه نفس الكلمات كلما قمت بزيارتكما..

اقتربت منه نهلة ثم ردت بدلال:

- لكن ما المزعج في كلام أبي؟ إنه يريد أن يكون شريكك هذا كل شيء..

أفلت سوار ذراعه من بين يدي نهلة ثم خاطبها باستخفاف:

- يريد أن يكون شريكي أم يريد أن يستولي على أنتيدويت؟

ثم أردف وهو يقاطع نهلة التي تأهبت للكلام:

- إنه يرغب بالحصول على ستين بالمائة من أسهم الشركة إضافة إلى كرسي الإدارة آنسة نهلة أيمن الرفاعي..

ألقى بكلماته تلك ثم جلس على كرسي سيارته وانطلق بسرعة مبتعدا عن المكان.

الفصل السادس

بمجرد أن استفاقت سالي من غفوتها التي أخذتها بسبب الحقنة المنومة دلف السيد مفيد وأسامة إلى غرفتها للاطمئنان عليها ليجداها جالسة على سريرها مستندة إلى وسادة..

اقترب السيد مفيد منها وجلس قربها على سريرها ثم مرر يده حول وجهها وهو يقول مبتسما:

- لقد كبرت صغيرتي وأصبحت بطلة تنقذ رئيسها..

عندها ابتسمت بغبطة وأطرقت رأسها بخجل، أرادت الرد لكن قاطعها أسامة الذي علق بسخرية:

- أجل.. أنقذت رئيسها ثم قررت أن يغمى عليها لتستطيع أن تأخذ غفوة دامت ثماني ساعات أو أكثر..

وعلى الفور التفتت له سالي وخاطبته بنبرة حادة:

- لِمَ لا تخرج من غرفتي سيد أسامة؟ أم تريدني أن أخبر السيد مفيد عمّا فعلته بي؟

وقتها حدق به السيد مفيد وهو يقول بضيق شديد:

- آه حقا! أنت ضابط غير مسؤول.. كيف تقحم متمرنة جديدة في مداهمة حقيقية قبل التدريب؟ ثم ألم تفكر بما سيكون عليه موقفي أنا أمام والدها؛ صديق عمري؟ ثم اقترب منه وهو يضيف بغيظ:

- حتى أنك لم تضع احتمال أن تصاب خطيبتك بطلق ناري ..

قال عبارته تلك بعدها اتجه نحو باب الغرفة وهو يواصل:

- عليّ طمأنة والدك عزيزتي..

وعاد للالتفات مجددا نحو أسامة وهو يضيف:

- أما أنت فابق قرب خطيبتك إلى أن يسمح لها الطبيب بالمغادرة.. وداعا..

وهكذا غادر العقيد مفيد تاركا سالي تواجه نظرات أسامة المرعبة وهي تدعو الله أن تمر الليلة على خير..

الفصل السابع

إنه يوم العطلة، استفاق سوار على ضوء أشعة الشمس التي اخترقت ستائر غرفته معلنة عن منتصف النهار، قام بتكاسل وإرهاق شديدين بعد يوم شاق ومشحون، طلب فنجان قهوة ريثما يعيد مراجعة عقود صفقة الغد، اتجه إلى مكتبه ليخرج الأوراق من حقيبته لكن الفضول جعله يتركها ويسحب المفكرة من الدرج، حملها وعاد ليستلقي على سرير، وهكذا غرق في تلك الأسطر التي رسمت ملامحا من ماضيه:

- ريهانا إسماعيل الأنصاري.. إبنة عمي المرحوم إسماعيل الأنصاري! لا داعي لأن أخبركِ بحجم المفاجأة التي تلقيناها لسماعنا باسمك.. الكل قام واقفا تلقائيا غير مستوعب للكلمات التي نطقتها شفتا المحامي، حتى أن عمي محمود طلب من السيد كمال تكرار المعلومة أكثر من مرة، فيما ثارت السيدة منيرة وكأن الأرض تحركت من تحتها..

حسن ريهانا.. أنا لم أتعجب مطلقا من رد فعل عمي وزوجته فأنا أدرك أنهما لم يحبا عمي إسماعيل بقدر ما أحبا أمواله وممتلكاته، لكنني لم أستطع فهم أو تفسير رد فعل أمي ثريا،

إنها الوحيدة التي اعتقدتها ستفرح لسماعها بهذا الخبر، لأنني لطالما سمعتها تحث عمي على الزواج بعد وفاة زوجته الأولى، كانت تترجاه أن يكمل حياته ككل الرجال؛ أن يبني عائلة وينجب أولادا يحملون اسمه ويكملون مسيرته.. لكنني اليوم رأيت في عينيها كرها وحقدا لم أرهما من قبل..

في البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

لأول مرة تعلو الأصوات حتى تبلغ مسامع الخدم في قصر آل الأنصاري، كانت وجوه الجميع تتساءل قبل ألسنتهم عن مدى صحة هذا الخبر، السيد محمود وزوجته كانت ردت فعلهما متوقعة جدا، ظلا يلقيان بالتهم ويطعنان في نسب الفتاة المزعومة من جهة والقوى العقلية للسيد إسماعيل من جهة ثانية.. بل بلغ بهما الأمر أن اتهما المحامي بالتزوير والغش، ظلا يكيلان التهم هنا وهناك، إلى أن صمتا تماما بعد أن سمعا صوت العمة ثريا التي خاطبتهما بحزم:

- فلتصمتا ولتحترما حرمة الميت..

ثم التفتت للمحامي وقد أذعن الجميع لكلماتها، خاطبته وهي تحاول السيطرة على أعصابها:

- حسن سيد كامل.. إن كان شقيقي قد كتب ذلك بخط يده لا يمكنني إلا تصديقه..

ثم أضافت بحنق شديد:

- لكن متى حصل ذلك؟ أريدك أن تشرح لنا الموضوع بهدوء..

وقتها طلب المحامي من الجميع الجلوس ليحكي لهم القصة من بدايتها كما رواها له السيد إسماعيل:

- سأخبركم عن كل شيء بالتفصيل، لكنني أتمنى أن لا يقاطعني أحدكم حتى أنهي كلامي..

ثم أضاف وهو يأخذ نفسا عميقا:

- حسن.. أنتم تعلمون أنه وقبل خمس وعشرين سنة لم يكن السيد إسماعيل يملك سوى المزرعة التي استطاع شراءها من ميراثه.. أراد بناء مصنع للأدوية على أرضها لكن الحكومة لم توافق على ذلك لأنها أرض زراعية.. إلى أن قرر السفر ليبني نفسه بنفسه، سافر إلى أمريكا، أوربا وحتى أستراليا.. لم يترك بلدا إلا وجرب حظه فيه... وفي النهاية جمع مبلغا معقولا من المال لكنه لم يكن كافيا لمشروعه ذاك.. لذا لم يكن لديه خيار سوى المجازفة في إحدى الصفقات لعله يربح منها، وقتها كان قد انتهى به المطاف في مومباي

عاصمة الهند، هناك تعرف على مستثمر أمريكي شاب ونشأت صداقة بينهما تحولت فيما بعد إلى شراكة في صفقة عمرهما التي حولتهما من مجرد تاجرين إلى رجلي أعمال ناجحين، شاركا في مزاد لبيع أحد معامل البناء وحصلا عليه وعلى عدد من المناقصات لتمويل مصانع صغيرة ثم شركات كبيرة إلى أن كوّنا ثروة هائلة.. وهكذا أقام السيد إسماعيل في الهند ثلاث سنوات يشرف على أعماله هو وشريكه..

في تلك الفترة بالتحديد تعرف على سيدة هندية تدعى"مليكا بيران" ابنة أحد المقاولين هناك، أحبها وتزوجا، ظل معها ما يزيد عن السنة أنجبا خلالها ابنتهما الوحيدة "ريهانا".. ومن ثم قرر العودة للبلاد من أجل تحقيق حلم حياته.. طلب من زوجته العودة معه لكنها لم توافق لأنها كانت تعلم بأن السيد إسماعيل لم يخبر أحدا عن موضوع زواجه، فكيف وهو يعود ومعه زوجة من طبقة بسيطة وابنته ذات الشهرين.. فقرر العودة بمفرده، وعندما استقر وضع مشروع أنتيدويت في البلاد فضّ شراكته مع صديقه الأمريكي بالتراضي..

وبعد ست سنوات من عودة السيد إسماعيل إلى البلاد توفيت السيدة ماليكا بسبب عدوى مرضية لم تهتم بعلاجها لكونها كانت شابة غير متعلمة لتترك ريهانا لدى زوجة صديقه الذي أقام في الهند بشكل شبه دائم، وقد فضل السيد إسماعيل تركها لتتربى مع ابنته

التي كانت في نفس عمر ريهانا تقريبا، لأنه أحس بأنه إن أتى بها إلى هنا لن يقبلها أحد من العائلة ..

ثم تنحنح المحامي كامل وهو يقول منهيا كلامه:

- في هذه اللحظات بالتحديد تكون الآنسة ريهانا قد أنهت تلاوة ما جاء في نسختها من الوصية..

ثم قام من مكانه وجمع تلك الأوراق وأعادها إلى حقيبته، اتجه نحو باب المكتب وهو يضيف قبل انصرافه:

- ستصل الآنسة ريهانا إسماعيل الأنصاري إلى البلاد بعد أسبوع بالتمام والكمال.. أتمنى أن تجهزوا أنفسكم لاستقبالها في قصرها..

* * *

أغلق سوار المفكرة وقد أحس بصداع يكاد يفجر رأسه من حجم الأسرار التي شهدتها الفترة التي مسحت من ذاكرته والتي لم يذكر أحد من أهله شيئا حولها رغم أنها كانت جديرة بأن تغير كل معالم حياتهم.. قام عن سريره وأعاد المفكرة إلى مكانها ثم سحب أوراق الصفقة المرتقبة، قلّبها بين يديه للحظات قطعها صوت طرقات على باب غرفته..

سوار وهو يلتفت نحو باب غرفته:

- تفضل..

دلف أحد الخدم الغرفة بعد أن استأذن، خاطب سوار باحترام شديد:

- سيدي.. السيد أسامة عمران ينتظرك في الصالة..

ثم انصرف تاركا سوار ليغير ملابسه..

في البلدة

دلفت العمة ثريا غرفة المكتب بهدوء لتقف مكانها تحدق بليلى التي كانت تجلس خلف طاولة المكتب منهمكة في البحث عن غرض ما شغلها داخل الأدراج إلى درجة أنها لم تسمع صوت باب الغرفة يفتح، انتفضت بسرعة مكانها بعد أن سمعت صوت العمة الحاد وهي تصيح بها:

- عمّ تبحثين هنا يا ليلى؟

وقفت ليلى مكانها تحدق بالعمة ثريا وهي ترتعش من شدة خوفها وتوترها، ردت بحروف لا تكاد تسمع أو تفهم:

- عمتي! أنا أنا.. أنا كنت أبحث عن ألبوم الصور القديم..

اقتربت منها العمة ثريا بخطوات هادئة، عادت للتحديق بها بنظراتها الصارمة تلك التي ألفتها وهي تقول بحزم:

- عزيزتي ليلى.. عليكِ أن تستأذني قبل أن تأخذي أي غرض من هنا.. تذكري جيدا؛ أنت ووالديك مجرد ضيوف في القصر.. ها؟ هل فهمتِ أم أكرر كلماتي مجددا؟

ابتلعت ليلى دموعها التي كادت تنساب من عينيها، ردت على العمة بألم وحرقة شديدتين:

- بلى عمتي فهمت.. أعتذر منك..

ثم انصرفت راكضة خارج الغرفة تاركة خلفها العمة ثريا تتجه نحو المقعد ذاته، جلست عليه بهدوء ثم رفعت سماعة الهاتف وضغطت بعض الأرقام ثم انتظرت الرد الذي أتى سريعا:

- نهلة عزيزتي .. كيف حالك؟

في الجهة المقابلة كانت نهلة تجلس إلى طاولة الفطور، ردت على اتصال العمة ثريا بمجرد أن لمحت رقمها:

- لست بخير عمتي.. الأمور لم تسر كما خططنا له.. سوار كاد يتشاجر مع والدي أمس.. ومعي أنا أيضا..

أطلقت العمة ثريا نفسا عميقا تعبيرا عن استسلامها للأمر الواقع، حاولت مواساة نهلة قائلة:

- لا تنزعجي من سوار عزيزتي.. أعلم أنه عنيد ولن يوافق على الشراكة إلا بشروطه هو.. عموما حاولي أن لا تتدخلي في أمور عمله حاليا.. كل ما أريده منك أن تتوددي إليه قدر الإمكان وتكسبي حبه.. بعدها لن يرفض لك طلبا..

وهكذا قضت العمة وقتها تحاول تطييب خاطر نهلة وتقديم النصائح لها لكي تستطيع كسب محبة سوار في وقت قياسي..

بعد خروج ليلى من غرفة المكتب صعدت الدرج مسرعة محاولة مداراة دموعها التي أطلقت لها العنان بمجرد أن أغلقت باب غرفتها عليها، بكت بحرقة وهي تتذكر كيف أرغمتها والدتها على التنازل عن أموالها التي تركها لها عمها السيد إسماعيل بحجة أنها ستستثمرها لها في مشروع رابح ألفا بالمائة، ذلك المشروع الذي نسف كل أموالها وأموال والدها في ظرف سنة لا غير..

أخيرا كفكفت دموعها ثم اتجهت إلى سريرها وسحبت صورة من تحت مخدتها، حدقت بصاحبها مطولا وهي تقول بألم:

- أعلم أنني كنت السبب في رحيلك عن القصر ساري.. لكنني أنا هي الضحية الحقيقية إن كنت تذكر..

ثم ارتمت على فراشها ضامة صورة ساري إلى صدرها، أغمضت عينيها محاولة تجميع بعض الذكريات القليلة التي جمعتهما تحت سقف هذا القصر..

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

مر ما يزيد عن الربع ساعة على خروج المحامي كامل من القصر ولا يزال آل الأنصاري جالسين أماكنهم في غرفة المكتب دون حراك، دون همس، دون أي رد فعل واضح.. كل ما يمكن الجزم به أن الجميع لا يزال واقعا تحت تأثير تلك الصدمة..

أخيرا زفرت العمة ثريا وهي تشبك ذراعيها باستسلام تام وتقول:

- يبدو أننا سنكون مضطرين لاستقبال شخص غريب.. ليس هذا وحسب، بل سيكون علينا مشاركته كل ممتلكات آل الأنصاري.. يا لها من ورطة أوقعتنا فيها يا إسماعيل..

التفت إليها السيد محمود الذي كان وكأنه يجلس على الجمر منتظرا أي تعليق ليدلي بدلوه، أضاف على كلامها بحنق شديد:

- حتى أنه لم يكلف نفسه عناء إخبارنا بأنه تزوج مرة ثانية.. ومنذ ما يزيد عن العشرين سنة..

ثم عاد الجميع للصمت مجددا، ذلك الصمت الذي ضاقت به نفس سوار ذرعا، فهو لم يكن يهمه في الموضوع كله سوى غضب عمته ثريا، دنا منها أكثر، ضمها إليه وطبع قبلة على رأسها وهو يقول مبتسما:

- هيه أمي.. لا أحب أن أراك هكذا.. لا شيء في الكون يستحق أن تحزني من أجله..

ابتسمت له العمة ثريا بخفوت وهي ترد:

- ألا تستحق مملكة الأنصاري التي ستستولي عليها غريبة أن نبكي الدهر كله من أجلها يا سوار؟

أنصت لها سوار جيدا ثم عاد ليبتسم وهو يغمز لها ويضيف بمرح:

- أهذا ما يزعج جميلتي؟ أنا سأسوي الموضوع بطريقتي الخاصة..

وقتها رفعت العمة ثريا حاجبيها متعجبة كلامه، ردت باهتمام:

- وما هي طريقتك الخاصة سيد سوار؟

وقتها تنحنح سوار ثم خاطب الجميع بتفاخر:

- سأجعل تلك الريفية تقع في غرامي.. وسأجعلها تتنازل عن كل ممتلكاتها مقابل مبلغ من المال تحددونه أنتم فيما بعد..

في تلك اللحظات حدق به الجميع بسخط شديد على اعتبار أن الوضع لا يدعو مطلقا للمزاح الثقيل، في الأخير قام ساري من مكانه وهو يقول:

- إن لم يكن هناك ما تضيفونه فأنا أريد الاستئذان..

وقف سوار واتجه نحو ساري الذي بدا عليه الانزعاج، خاطبه مستفسرا:

- إلى أين ساري؟ ألا تعتقد أن أمي ثريا في حاجة لأن نكون معها.. خاصة في هذه الأوقات؟

تقدم ساري خطوات من سوار ثم رد عليه باستخفاف:

- يمكن أن تخفف عنها أنت بمزاحك السخيف إن أردت..

استمع سوار لكلمات ساري التي كان الجميع يتمنى أن يقولها له، عاد مكانه وارتمى على الأريكة وهو يضيف بلامبالاة:

- لا أظنك تريدني أن أندب حظي كالنساء سيد ساري.. ثم ليس سوار هادي الأنصاري من تدمره أزمة كهذه..

على وقع الكلمات الأخيرة لسوار غادر ساري وقد تملكه الغضب من الموقف ككل، اتجه نحو بوابة القصر يريد الخروج منه لكنه توقف وقد التقطت أذناه صوتا من ورائه، استدار إلى الخلف ليجد ليلى وقد توقفت تلتقط

أنفاسها، خاطبها بضيق:

- لست في مزاج للكلام ليلى ..

ردت عليه ليلى بارتباك:

- ساري.. هل أنت بخير؟ أردت الاطمئنان عليك لا غير..

حدق بها ساري مطولا ثم رد بنبرة حادة ذات معنى:

- على ذكر الاطمئنان ليلى.. لقد أثمر اهتمامك بعمي إسماعيل أيما إثمار.. لقد منحك من التركة مثلما منحني أنا تماما.. يا له من رجل عادل.. رصيد فخم للآنسة ليلى التي لا تزال تدرس، ورصيد مساوٍ للسيد سوار؛ الشاب العاطل الذي لا شغل له سوى إنفاق أموال عمه على الفتيات ..

وواصل بحرقة وعدم رضا:

- وأنا ساري الذي كان يعتقد أنه الساعد الأيمن لعمه ونائبه في شركة أنتيدويت حظيت بنفس ما حظيتما به.. ثم أضاف وهو ينصرف:

- والمهزلة الكبرى تلك الريفية المتخلفة التي ستستولي على نصف التركة..

* * *

أخيرا فتحت ليلى عينيها وهي تطلق تنهيدة من أعماق قلبها، رفعت صورة ساري مجددا وخاطبتها بحنين:

- لقد طال غيابك ساري.. ألم تشتق للعمة ثريا وسوار؟ ألم تشتق إلى ...

ثم أغمضت عينيها وقد تملكتها الحسرة والألم وهي تضيف:

- هذا إن كنت لا زلت تذكرني من الأساس..

الفصل الثامن

في العاصمة

تناول سوار وجبة الفطور رفقة صديقه أسامة ثم جلسا معا في الصالة يتبادلان أطراف الحديث معا، كان أسامة يحكي لسوار عن المتاعب التي لاحقته منذ التحقت صديقة طفولته بالمكتب لتصبح متدربة عنده، وآخرها ما حصل معه حين اضطر لقضاء ليلته في المشفى بسببها.

أنهى أسامة كلامه وهو يحاول أن لا يتثاءب مضيفا:

- لم أعتقد مطلقا أنني سأضطر يوما لطلب إجازة من أجل الراحة.. والآن أحس بأنني في حاجة إلى أسبوع كامل من النوم..

ضحك سوار من كلماته تلك ثم أضاف بنبرة جادة:

- هيا يا رجل.. لا تتحجج بسالي.. الأمر كله يتلخص في عدم ارتياحك في غرف الضباط..

ثم أضاف باستجداء:

- لِمَ لا تسمع كلامي وتأتي لتسكن معي في الفيلا؟ أشعر بالضيق وحدي هنا..

التفت إليه أسامة وقد أنصت إلى كلماته، رد عليه معتذرا:

- أنت تعلم أنني لا أحب جو الأثرياء يا سوار.. أنا هكذا مرتاح للغاية..

ابتسم له سوار وقد كان يتوقع رده ذاك، خاطبه وهو يغمز له:

- أجل أعلم أسامة.. وهذا ما يجعلك لا تحاول أن تفكر بسالي أليس كذلك؟ لأنها سالي حلمي ابنة العقيد مروان حلمي..

خاطبه أسامة باستخفاف:

- ما هذا الهراء؟ أنا أفكر في سالي؟ ألا تعتقد أنني أستحق فتاة أجمل منها.. حسن هذا إن اعتبرنا سالي فتاة من الأساس..

وهكذا أنهى الصديقان يومهما يدردشان معا في أدق التفاصيل التي فاتتهما، خصوصا تلك الحادثة التي حصلت مع سوار والتي تسببت فيما هو عليه الآن.

أخيرا حلّ صباح اليوم التالي، اليوم سيقابل سوار شريكه الجديد ليتفاوضا على شروط الشراكة المنتظرة، كان لدى سوار أمل ضعيف جدا في إمضاء العقود وفق الشروط التي

يريدها رغم أنه سيضطر إلى التنازل على نسبة كبيرة من الأسهم، لكنه لن يوافق مطلقا على تسليم الإدراة إلى الشريك الجديد وإن كلفه الأمر خسارة المؤسسة كاملة؛ هذا ما كان يفكر فيه سوار وهو يجلس متصدرا قاعة الاجتماعات التي تنتظر أن يلتحق إليها رؤساء الأقسام في مجموعة أنتيدويت للصناعة الصيدلانية.

ظل سوار يراجع تلك البنود نصف ساعة كاملة قبل اكتمال نصاب أعضاء الاجتماع إلى أن انضم إليه المحامي كامل وانحنى باتجاهه وهو يقول:

- سيد سوار.. لقد تلقينا لتونا اتصالا من السيد إمانويل ألفاريس؛ الشريك الأجنبي..

التفت سوار باتجاه السيد كمال وقد كاد قلبه يتوقف من الترقب، خاطبه بتوتر:

- ماذا؟ هل سيلغي الصفقة؟

جلس السيد كامل على المقعد الذي إلى يسار سوار ثم ربت على يده محاولا تهدئته:

- كلا سيد سوار.. لقد أرسل من ينوب عنه لأنه لم يصل بعد إلى البلاد.. ثم عليك أن تسترخي، لا نريد للشريك الجديد أن يلاحظ أننا سنفلس إن لم نعقد الشراكة معه..

ابتسم له سوار وهو يرد باستخفاف:

- لكنها الحقيقة سيد كامل.. نحن على شفير الإفلاس..

أخيرا اكتمل أعضاء الاجتماع على طاولة الاجتماعات، وقد انتهز بعضهم الفرصة لمناقشة الوضع الراهن للمجموعة والحلول المتاحة للخروج من الأزمة، كما لم يتوانَ البعض الآخر عن إلقاء التهم للسيد محمود الأنصاري الذي لم يكتفِ بتبديد الأرباح؛ بل وصل به الأمر أن بدأ بسحب مبالغ مهولة من رأس مال الشركة الأساسي..

لم يكن وقتها سوار قادرا على الرد ولا الاعتراض، لأن كل ما قيل وقتها كان سببا أساسيا في الوضع الراهن لأنتيدويت التي ستحتل فضيحة إفلاسها صفحات الجرائد الأولى، هذا الشد والرد زاد من توتره كثيرا، ما جعله يلتفت للسيد كامل وكأنه يتساءل عن سبب تأخر نائب السيد ألفاريس.

وبسبب ازدياد الموقف توترا أراد السيد كامل القيام ليستفسر في السكرتاريا عن سبب تأخر الشريك المنتظر، لكنه توقف وهو يرى السكرتيرة تدخل وتخاطب سوار بهدوء:

- وكيل السيد إمانويل ألفاريس وصل سيدي..

وقتها انتفض سوار قائما من مكانه، خاطب السكرتيرة بلهفة وترقب:

- دعيه يدخل آنسة رندة..

وهكذا خرجت السكرتيرة للحظات عادت بعدها لفتح الباب مفسحة الطريق أمام الوافد الأخير إلى قاعة الاجتماعات التي قام جميع الموجودين فيها احتراما له..

كان الجميع واقفا محدقا باحترام وفضول للممثل الذي سينوب المستثمر الأجنبي، عدا سوار الذي اتسعت حدقتا عينيه وهو يرى الشابة التي تلت دخول السكرتيرة، إنها نفسها تلك الشابة التي سبق والتقاها عند مدخل فندق الواحة، تلك الفتاة جعلته يتصرف كمجنون، ترتدي نفس ستايل الملابس، ملابس كلاسيكية سوداء هذه المرة، تضع نظارة شمسية على عينيها تماما كأول مرة، دخلت وهي تزيل قبعتها السوداء عن شعرها الذهبي القصير..

هي الأخرى وقفت مكانها تحدق بسوار الذي لا يمكن أن يكون قد محي من ذاكرتها بسبب ما فعله يومها معها..

تقدمت الشابة من سوار لأنها أدركت من موقع وقوفه وتوجه السكرتيرة بالحديث إليه أنه رئيس مجلس الإدراة، اقتربت منه ثم وقفت مقابله مادة يدها بإتجاهه وهي وتقول بلغتها الانجليزية الغريبة:

- إيلينا ألفاريس.. وكيلة السيد إمانويل ألفاريس في هذه الصفقة سيد سوار الأنصاري..

في الوقت ذاته كانت عينا سوار لا تزال متعلقتين بوجه الشابة، كان ارتباكه وتوتره يتزايد بكل خطوة تتقدمها نحوه، أخيرا أفاق من شروده على صوتها ولكنتها الغريبة؛ تماما كالمرة السابقة، مد يده نحوها وهو يرد مبتسما:

- تشرفت بمعرفتك آنسة إيلينا.. أتمنى أن نتوصل إلى اتفاق يرضيكم ويرضينا..

وهكذا جلس الجميع مجددا لتنطلق المباحثات في أمور الصفقة، كان جميع أعضاء مجلس الإدارة يدلون بدلوهم، وأحيانا يصل النقاش بهم إلى حد الجدال الذي يحاول سوار في كل مرة حله بهدوء لكي لا يخرج الحضور عن الموضوع الأساسي.. ودام الأمر على هذه الحال لما يجاوز النصف ساعة التزمت خلالها الآنسة إيلينا الصمت التام.. إلى أن فاجأت الجميع بقيامها عن مقعدها..

وسط ذلك الجدل الذي كان يزداد حدة قامت الآنسة إيلينا عن مقعدها وهي تلملم أغراضها، التفت إليها سوار الذي قام هو الآخر بمجرد أن أحس بتوترها، حدق بها ثم خاطبها بارتباك:

- آنسة إيلينا.. أعتذر إن انشغلنا عن مناقشة بنود الاتفاق بأمور داخلية.. أؤكد لك...

ثم توقف عن الكلام بعد أن خاطبته إيلينا بلهجة غاضبة حادة:

- أنا لا يزعجني أن تناقشوا شيئا.. لكنني أكره أن تتكلموا في حضوري بلغة لا أفهمها.. أظنكم تعلمون أنني لا أجيد العربية.. ولست على استعداد للجلوس بينكم كالبلهاء..

ثم حملت حقيبتها وغادرت قاعة الاجتماع ..

وقتها التفت سوار للحضور وخاطبهم بحنق شديد:

- هل ارتحتم الآن؟ أظنني سأخسر الشركة بسبب تفاهتكم ..

ثم اتجه نحو باب القاعة وهو يضيف:

- أؤكد لكم أنني سأفصلكم جميعا إن ضاعت هذه الصفقة..

أسرع سوار الخطى لعله يدرك إيلينا ليجدها تقف أمام المصعد وقد تجاوزت مكتب السكيرتاريا، ركض نحوها ليمسكها من معصمها قبل أن تطأ قدمها المصعد، سحبها باتجاهه بهدوء وهو يقول بنبرة معتذرة:

- أنسة إيلينا.. أعلم أن الخطأ خطئي.. كان علي أن أعقد اجتماعا مغلقا بيني وبينك، هل يمكن أن تمنحيني فرصة لتصحيح الأمور؟ أعدك أن لا تخرجي من هنا إلا وأنت راضية..

في البلدة

كانت العمة ثريا تجلس مكانها محدقة بشقيقها الذي يقف في مواجهتها مطأطئ الرأس وكأنه تلميذ معاقب، خاطبته وهي تحاول تمالك نفسها:

- هل أنت في وعيك محمود؟ تريد مبلغا من المال لتضيعه كما ضيعت كل شيء؟

التفت لها السيد محمود ثم رد بتودد:

- حسن شقيقتي.. على الأقل أعيديني إلى الشركة.. ليس جميلا في حق محمود الأنصاري أن يأخذ مصروفه كالأطفال..

وقتها وقفت العمة ثريا مخاطبة شقيقها بازدراء شديد:

- أعطني سببا كافيا لأجعلك تطأ الشركة من جديد.. تذكر أنك بعت نصيبك لي وكنت على استعداد لبيعه لمن يدفع أكثر ..

ثم تقدمت خطوات مبتعدة عنه وهي تضيف بأسى:

- والآن ولداي؛ سوار وساري يدفعان ثمن أخطائك.. أحدهما تغرب خارج البلاد ليدير الفروع هناك.. والآخر يحاول استعادة مكانة أنتيدويت التي أصبحت في الحضيض منذ توليت رئاستها يا محمود.

****في العاصمة****

فتح سوار باب مكتبه وأفسح المجال لإيلينا لكي تدخل وهو يقول:

- **تفضلي أنسة إيلينا..**

ثم التفت إلى السكرتيرة وهو يضيف قبل أن يدخل مكتبه هو الآخر:

- **آنسة رندة.. من فضلك اطلبي لنا كوبين من العصير..**

أغلق سوار باب مكتبه خلفه ثم تقدم من إيلينا وأشار لها بالجلوس، جلس مقابلها وهو يقول معتذرا:

- **آنسة إيلينا.. أنا أريد أن أعتذر منك..**

ابتسمت له إيلينا ثم ردت بهدوء:

- **لا عليك.. على كل الذنب لم يكن ذنبك..**

حدق بها سوار مطولا ثم اتسعت ابتسامته وهو يردف:

- **في الحقيقة لست أعتذر عمّا حصل منذ قليل.. بل عن تصرفي غير المهذب ذلك اليوم..**

أنصتت إيلينا لكلام سوار ثم خاطبته بهدوء:

- **لا عليك سيد سوار.. في الحقيقة وقتها حسبتك... أقصد...**

ثم صمتت وقد أحست بالإحراج، لكن سوار أكمل جملتها وهو يضحك:

- حسبتني مختلا عقليا..

ابتسمت له إيلينا وهي ترد:

- ليس تماما.. حسن أنا تعودت على مثل تلك المعاكسات..

ثم صمتت لتستمع إلى كلمات سوار الجادة:

- ربما بدوت لك وكأنني أعاكسك.. لكن الموضوع مختلف تماما..

خاطبته إيلينا بتعجب:

- ماذا تقصد بمختلف؟

ابتسم لها سوار ثم رد:

- ليتني أستطيع تفسير ذلك.. لكن حتى وإن لم تصدقيني فأنا لم أكن أعاكسك بل كنت أتكلم بجدية..

ردت عليه إيلينا وهي ترفع نظارتها الشمسية لأول مرة كاشفة عن عينيها الخضراوين الواسعتين وهي تقول بنبرة جادة:

- عموما لا أنا لم أفهم شيئا مما كنت تقوله وقتها..

ثم أضافت وهي تحدق به:

- ما رأيك أن نتكلم عمّا جئنا من أجله سيد سوار..

ربما لم تنتبه وقتها إيلينا إلى تلك النظرات الغريبة التي كان سوار يرمقها بها، كان يحدق بها وكأنه يراها من جديد، لقد أحسن وقتها وللمرة الأولى أن هذه الفتاة غريبة عنه فعلا، وكأنه التقاها لتوه، وكأنها ليست إيلينا التي التقاها منذ ثلاثة أو أربعة أيام، ولا حتي هي نفسها التي كان يتكلم إليها قبل أن ترفع نظارتها لتكشف عن عينيها ..

نفض سوار تلك الأفكار التي استحوذت عليه فجأة على نبرة صوت إيلينا الجادة وهي تطلب منه أوراق الصفقة المرتقبة، وهكذا دخلا في الموضوع الأساسي، وبدآ بتلاوة البنود التي اقترحها سوار ومناقشتها بندا بندا، وقتها بدت له إيلينا كخبيرة في أمور الصفقات أو على الأقل على دراية واسعة ومفصلة بكل ما يتعلق بأنتيدويت..

أخيرا وضعا الأوراق جانبا بعد أن أدخلت السكيرتيرة كوبي العصير..

انتهز سوار الجو المريح الذي أخذه الاجتماع وخاطب إيلينا:

- حسن.. واضح أننا شبه متفقين حول كل البنود..

ابتسمت له إيلينا ثم وضعت كوب عصيرها وعادت لإمساك أوراق الصفقة وهي ترد بهدوء:

- حسن كل البنود تناسبني.. عدا البند السادس..

كان سوار ينصت لكلمات إيلينا بترقب شديد، وما أن أشارت للبند السادس حتى أطلق نفسا مشبعا بالخيبة وهو يرد:

- أجل.. علمت أنك لن توافقي على هذا البند..ثم التفت باتجاهها وهو يضيف باستجداء:

- لكن ألا تعتقدين أن ثلاثين في المائة من الأسهم نسبة مناسبة لكم؟

عادت إيلينا للابتسام مجددا وهي ترد:

- كلا سيد سوار ليست مناسبة..ثم أضافت وهي تراقب ملامح سوار المستسلمة:

- نحن تكفينا عشرون في المائة سيد سوار.. ولو اقترحت أقل من ذلك لقبلنا..

في تلك اللحظات لم يكن سوار قادرا على استيعاب كلمات إيلينا الغريبة التي خالفت كل توقعاته، ظل يحدق بها بنظرات مشبعة بالاستغراب والتعجب، أحسها للحظة تستخف بأمره وأمر شركاته، لكنه عاد إلى الواقع وهو يسمعها تواصل كلماتها محاولة توضيح ما التبس في ذهنه:

- سيد سوار، أنا ووالدي السيد إمانويل ألفاريس عندما قررنا الاستثمار في هذه البلاد، كان كل همنا إقامة شراكة مع مؤسسات خاصة لها اسمها ومعروفة على الصعيد الدولي بنزاهتها ومصداقيتها، وقد وقع اختيارنا على أنتيدويت نظرا لاسمها في الأسواق العالمية..

ثم أضافت وهي تقوم من مكانها:

- وبما أننا مجرد مستثمرين فنحن لا نسعى للحصول على الشركة بقدر ما نسعى للربح باسم الشركة، لذا لم نفكر في أن تكون نسبة أسهمنا مرتفعة لأن هذا الأمر قد يفسر في الأسواق العالمية بأن الشركة تخسر وعلى وشك إشهار إفلاسها.. فهمت سيد سوار..

قام سوار من مكانه وخطا خطوات نحو إيلينا، حدق بها مبتسما وهو يرد:

- هل تعلمين؟ سياستكما الاقتصادية هذه تستحق أن تُدرّس آنسة إيلينا.. ليت الجميع يفكر هكذا.. جميع من رغبت في شراكتهم كانوا يفكرون في الاستيلاء على أنتيدويت، ولا أظنهم فكروا للحظة أن تحول الأسهم للمستثمرين الجدد سيثير الشكوك حول أوضاع الشركة.. وقد يؤدي لاحقا إلى خسارة لنا ولهذا الشريك..

الفصل التاسع

في نهاية اليوم كان سوار يجلس مع أسامة في أحد المطاعم يتناولان عشاءهما فيما كان يحكي له عمّا حصل معه في هذا الاجتماع من أحداث غريبة.

أنهى سوار كلامه عمّا انتهى إليه الاتفاق وهو يطلق تنهيدة توحي بارتياحه قائلا:

- إيلينا تلك.. سيدة أعمال في غاية الذكاء وسرعة البديهة والـ...

ليجد أسامة يقاطعه وهو يبتسم له قائلا:

- والجمال والرقة والجاذبية.. أليست هي نفسها الفتاة التي سبق وعاكستها؟

ابتسم له سوار فيما كان يرد:

- لم أكن أعاكسها أسامة.. حسن للآن لست أفهم ما يحصل لي عندما أراها..

ثم أضاف وقد تغيرت ملامح وجهه:

- أحيانا أحس أنني أعرفها، أنني سبق والتقيتها في مكان ما.. وأحيانا أخرى أراها فتاة غريبة علي، فتاة لم يسبق لي وأن التقيت شبيها لها.. حسن هذا الأمر صعب التفسير..

بانتهائهما من تناول عشائهما افترق الصديقان كل إلى بيته، دخل سوار غرفته وألقى بجسده على فراشه وعلى محياه نفس الابتسامة التي رافقته طوال يومه كونه حقق تقدما جيدا في موضوع الشراكة ذاك بشروط ممتازة من الناحية العملية، أغمض عينيه للحظات يستمتع بذلك النصر ثم عاد ليفتحهما من جديد، قام عن السرير ليأخذ تلك المفكرة التي أصبحت صفحاتها تمثل حكاية ما قبل النوم بالنسبة له، قلبها بين يديه لينتهي به البحث حيث توقف آخر مرة، سحب كرسي مكتبه وجلس يتلو الكلمات بتركيز فائق:

- ومرّ ذلك الأسبوع وكأنه دهر، ليلتها تلقينا اتصالا من السيد كامل يبلغنا بموعد وصولك إلى العاصمة، ويطلب منا استقبالك في المطار لأنه لن يستطيع ذلك كونه اضطر للسفر خارج البلاد.

-

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

وضعت العمة ثريا سماعة الهاتف بعصبية بعد أنهت المكالمة ثم التفتت للجميع من حولها وهي تشبك ذراعيها إلى صدرها وتقول بضيق:

- تلك الريفية ستصل غدا والسيد كامل يريدنا أن نكون في استقبالها.

وقتها قام ساري واتجه نحو الدرج وهو يرد باستخفاف:

- هذا ما ينقصنا.. أن نذهب لاستقبال صاحبة الجلالة.. تلك الهندية الجاهلة..

ثم التفت باتجاه العمة ثريا وهو يضيف بنبرة جادة:

- لا تنتظري مني أن أذهب لاستقبال ريهانا تلك.. لا أريد أن أكون أضحوكة أهل البلدة..

حدقت به العمة ثريا مطولا ثم ردت بنبرة محذرة:

- ماذا إذن يا ساري؟ هل تريدني أن أذهب أنا لاستقبالها؟

أراد ساري الرد لكنه توقف بعد أن قاطعه صوت سوار الذي اقترب من العمة ثريا وخاطبها مبتسما:

- لا تقلقي عمتي.. أنا من سيكون في استقبالها..

وقتها خاطبته العمة ثريا وهي ترفع حاجبيها متعجبة تطوعه لاستقبال الفتاة الريفية:

- حقا سوار؟ ظننتك لن ترغب بأن يراك أحد رفقة شابة جاهلة متواضعة.. خاصة صديقاتك الفتيات..

اقترب منها سوار وهو يضحك من تلميحات عمته، ضمها إليه وهو يقول بجدية:

- أمي الحبيبة.. أخبرتك سابقا أنني سأجعل تلك الجاهلة تقع في حبي وتتنازل عن كل شيء.. بعدها سأفكر إن كنت سأسمح لها بالبقاء هنا أو العودة من حيث أتت..

ثم ابتعد عنها وخطا خطوات باتجاه بوابة القصر وهو يضيف بثقة:

- أنا لا أعد بشيء ولا أفي به أمي..ثم أضاف دون أن يلتفت إلى الحضور:

- والآن لدي موعد مهم.. أستأذن..

ظلت السيدة منيرة تحدق بسوار الذي اختفى عن الأنظار، خاطبت الجميع باستهجان:

- أراهنكم أنه على موعد مع فتاة جديدة.. هذا ما يجيده ذلك السوار..

اقتربت منها العمة ثريا ، ابتسمت لها ابتسامة ذات معنى وهي ترد على كلماتها الحانقة تلك:

- أجل منيرة.. هذا ما يجيده ولدي سوار.. لذا فأنا متأكدة من أنه سيفي بوعده لنا..

وهكذا أنهى سوار سهرته رفقة بعض الأصدقاء وعاد إلى القصر ليقضي ليلته في انتظار حلول الصباح المنتظر..

صبيحة اليوم التالي استيقظ سوار على صوت العمة ثريا إلى جانبه، فتح عينيه بتثاقل شديد لترتسم ملامح العمة أمامه، خاطبها محاولا أن لا يتثاءب:

- أمي.. لِمَ أيقظتني؟ لا يزال الوقت مبكرا..

ابتسمت له العمة ثريا باستخفاف فيما كانت ترد:

- ظننتك كنت تتبجح أمس بكونك ستكون في استقبال ريهانا تلك لتخطف قلبها من أول لقاء..

ثم قامت من مكانها واتجهت نحو باب الغرفة، توقفت مكانها عندما سمعت سوار يرد عليها ضاحكا بعد أن اعتدل على فراشه:

- ظننتكم تعتبرونني شابا سخيفا أمي.. لا أعتقد أنك تريدنني أن أفعل ذلك..

التفتت له العمة ثريا، تقدمت نحوه وعادت للجلوس قربه، ربتت على كتفه وهي تحدق به نظرات ذات معنى وتقول بحزم:

- أريدك أن تفعلها سوار.. أريدك أن تجعل ريهانا تلك لعبة بين يديك، أريدك أن تسيطر على كل كيانها وعواطفها وقراراتها..

كان سوار وقتها يحدق بتلك النظرة التي لا ترتسم على محيّا عمته إلا عندما تكون قد عزمت على أمر ما، خاطبها بثقة:

- أعدك أمي أنني سأفعل.. إن كان هذا ما سيجعلك سعيدة سأتولى أمر تلك الريفية السخيفة..

* * *

أطلق سوارا نفسا عميقا وهو يعيد إغلاق المفكرة، خاطب نفسه بذهول:

- هل كنت أنوي فعل ذلك فعلا؟

ثم ألقى المفكرة من يده وعاد ليستلقي على سريره ليغط في نوم عميق وينتهي يومه على ذلك.

استفاق سوار في اليوم التالي على صوت طرق على باب غرفته، اعتدل على فراشه فيما خاطب من كان خلف الباب:

- تفضل..

دلف الخادم إلى غرفة سوار وخاطبه باحترام:

- أعتذر سيدي على إزعاجك.. لكن الآنسة نهلة في الأسفل..

قام سوار عن سريره واتجه نحو حمامه وهو يرد باستسلام:

- حسن ميتر ماهر.. سآخذ حمامي وأنزل لمقابلتها..

أنهى سوار حمامه الصباحي، ارتدى بدلته الرسمية ونزل الصالة بخطوات سريعة، اقترب من نهلة وحياها مبتسما:

- حبيبتي.. يا لها من مفاجأة سارة..

قامت نهلة عن مقعدها بمجرد أن لمحت سوار يقبل باتجاهها، خاطبته بتودد:

- صباح الخير حبيبي.. آسفة لأنني جعلتك تفيق في هذا الوقت.. لكنني قررت قضاء اليوم معك مادمت لم تعد ترغب في القدوم إلى منزلنا..

جلس سوار إلى جوار خطيبته فيما رد عليها معتذرا:

- أنا آسف حبيبتي.. لكنني لن أتمكن من قضاء يومي معك.. لدي الكثير من الأمور العالقة في أنتيدويت..

دنت منه نهلة ثم أمسكت يده وهي تقول بدلال:

- لا تقل هذا سوار.. نحن لم يتسنَّ لنا الوقت للبقاء معا منذ عدنا من أمريكا..

أنصت لها سوار ثم سحب يده ولفها حول كتفي نهلة وقام معها وتمشى نحو بوابة الفيلا وهو يخاطبها بتودد:

- ليس الآن حبيبتي.. علي إمضاء عقود الشراكة اليوم مع شريكتي الجديدة.. بعدها سأتفرغ تماما لك..

خطوات فقط وتوقفت نهلة مكانها، التفتت لسوار وكلمته وكأن أذناها لم تلتقطا سوى عبارة واحدة:

- شريكتك؟ تقصد أن المستثمر الجديد ليس سوى امرأة؟

استمع سوار لسؤال نهلة لترتسم على محياه ابتسامة مستخفة وهو يرد عليها بضيق:

- أجل امرأة.. لا تقولي لي أنك تريدينني أن ألغي الشراكة لأنك تغارين..

خاطبته نهلة وقد كادت تنفجر من رده المستخف ذاك:

- بل أريد أن أرافقك إلى الشركة لأرى إن كنت سأغار من شريكتك الجديدة أم لا..

في الوقت ذاته نزل أسامة من سكن الضباط قاصدا مركز الشرطة، تمشى لخطوات على الرصيف إلى أن توقف مكانه وهو يسمع صوت بوق سيارة خلفه، التفت باتجاه الصوت ليرى تلك الفتاة خلف المقود تقود سيارتها ببطء لتتوقف مقابله، اقترب من سيارة ومال نحو شباكها الأمامي الأيمن الذي أنزلته الفتاة وهي تطلق تصفيرة وتقول:

- هل الشاب الوسيم مرتبط؟

حدق أسامة الفتاة وما لبث أن ضحك من كلماتها وهو يرد:

- شرطية تعاكس شرطيا.. ستكون ألطف جنحة في تاريخ الشرطة..

ثم أضاف وهو يفتح باب السيارة ويجلس قرب الفتاة:

- واضح أنها هدية توعكك آنسة سالي.. هكذا هم الأغنياء، يتحينون أي مناسبة ليهادوا أبناءهم بما لا يحلم به غيرهم..

خاطبته سالي بضيق فيما انطلقت بسيارتها:

- أنت مخطئ أسامة.. والدي ليس سخيفا لهذه الدرجة.. لقد ظللت سنة أتلقى دروسا في القيادة ليسمح لي بقيادة سيارتي هذه..

شبك أسامة ذراعيه خلف رأسه واسترخى على كرسيه وهو يقول:

- حسن.. أريني نتائج تلك الدروس آنسة سالي..

وهكذا انطلقت سالي مستعرضة مهاراتها في القيادة أمام أسامة الذي أدرك من اللحظة الأولى أنهما على وشك قضاء نحبهما في حادث سير..

الفصل العاشر

دلف سوار الشركة ونهلة متأبطة ذراعه رافعة رأسها إلى الأعلى في أنفتها المعتادة، تمشى رفقتها باتجاه المصعد ليستقلاه، أخيرا توقفا عند الطابق المطلوب، خرجا منه وتمشيا معا نحو مكتب السكرتاريا لتقف السكرتيرة الشحصية لتحيتهما، وهكذا دلفا المكتب معا ليسحب سوار ذراعه وهو يأفأف قائلا بسخط:

- أين تظنين نفسك نهلة.. نحن لسنا في حفل ساهر.. أنت في شركة وأنا هنا للعمل، فلا داعي لتحاولي أن تشرحي للجميع بأنك خطيبتي فهم يعلمون ذلك على كل حال..

اقتربت نهلة من سوار ووضعت رأسها على كتفه وهي ترد بدلال:

- ولِمَ لا حبيبي؟ أنا أريد أن يعلم الجميع هنا أنني خطيبة سوار هادي الأنصاري..

ابتعد سوار عنها وهو يطلق نفسا عميقا، لم يرد على كلماتها بل اتجه نحو الهاتف وخاطب السكرتيرة عبره:

- آنسة رندة عندما تصل الآنسة إيلينا أبلغيني من فضلك..

ليسمع صوت السكرتيرة ترد:

- لقد وصلت منذ زمن.. سأبلغها بوصولك سيد سوار..

خاطبها سوار بلهفة واضحة:

- لا لا.. لا تبلغيها بشيء.. سأذهب إلى مكتبها بنفسي..

ثم وضع السماعة والتفتت باتجاه نهلة ليقف مكانه يبتلع ريقه وقد أدرك أن خطيبته على وشك الانفجار في وجهه، وترقبه ذلك لم يطل وهو يراها تقترب منه وتخاطبه بحنق:

- تذهب إليها بنفسك؟ حتى أنك لم تجلس على كرسيك بعد..

رد عليها سوار بضيق:

- هذا لأنك أخرتني عن عملي نهلة.. ثم أنت لا علاقة لك بما أفعله في مكان عملي.. أنا...

ثم توقف عن الكلام وهو يرى نهلة تتأبط ذراعه وتتمشى رفقته نحو باب مكتبه وتخاطبه بنرفزة واضحة:

- هيا سوار.. لا يجوز أن تتأخر عن شريكتك.. ماذا كان اسمها؟ آه إيلينا.. وأنا أريد التعرف عليها..

وهكذا خرج سوار يصطحب نهلة رغما عنه وقد علم أن علاقته بإيلينا التي يفترض أن تكون علاقة عمل ستأخذ منحى آخر أكثر شخصية.. تمشيا معا إلى أن توقفا أمام المكتب الذي يفترض أن يكون لإيلينا، تقدم وقتها سوار من الباب وطرقه ليسمع رد إيلينا بلكنتها المميزة للغاية تسمح لهما بالدخول..

دخل سوار المكتب لتتعلق عيناه بإيلينا التي توليه ظهرها فيما تشرف على فرش مكتبها وتوظيبه بنفسها، التفتت له وعلى شفتيها ابتسامة عذبة جعلته يشرد قليلا، اقتربت منه مرحبة به:

- سيد سوار.. كيف حالك؟

ابتسم لها سوار ثم تقدم منها وهو يرد:

- أنا بخير إيلينا شكرا.. تبدين متحمسة جدا للعمل معنا..

ثم التفت لنهلة التي ظلت تشد ذراعه وهو يضيف مشيرا إليها:

- أعرفك.. نهلة الرفاعي..

مدت إيلينا يدها باتجاه نهلة وهي تقول مبتسمة:

- سررت بمعرفتك آنسة نهلة.. أنا إيلينا ألفاريس.. شريكة السيد سوار الجديدة..

مدت نهلة يدها لتسلم على إيلينا وهي ترد بتحفظ شديد:

- وأنا شريكة حياة سوار آنسة إيلينا.. أقصد خطيبته..

قالت ذلك بنبرة انتبهت إيلينا لحدتها، كما انتبه سوار لما اكتسته من عدائية ملحوظة، أراد تلطيف الجو وهو يرد بمرح:

- بما أن مكتبك لم يجهز بعد فما رأيك أن نتناول ثلاثتنا بعض العصير في مكتبي؟

وهكذا رافق سوار الشابتين إلى مكتبه وطلب في طريقه من السكرتيرة أن تطلب لثلاثتهم عصيرا، وهكذا دخلوا المكتب.

تكلم سوار وإيلينا مطولا في أمور العمل في الوقت الذي شعرت فيه نهلة بالضجر، كما ازدادت غيرتها عندما لاحظت اندماج خطيبها في الكلام مع إيلينا وإبداءه الدائم للإعجاب بشخصيتها وأسلوب تفكيرها، هذا ما جعلها تحاول تغيير مجرى الكلام، قامت من مكانها وجلست على طرف الأريكة، اتكأت على كتف سوار ثم خاطبته بدلال:

- هيه حبيبي.. ألا تعتقد أن الأمر أصبح مملا للغاية؟ أم أنك نسيت أمري؟

التفت لها سوار وقد شعر ببعض الإحراج من تصرفها المبتذل، خاطبها بضيق يحاول إخفاءه:

- ما الذي تفعلينه نهلة.. نحن نتكلم الآن في أمور العمل..

ردت عليه نهلة بحنق شديد:

- هل تحسبني حمقاء يا سوار؟ أنت لا تترك فرصة إلا وغازلت فيها الشابة وكأنني غير موجودة.. على الأقل احترم وجودي..

وقتها قام سوار من مكانه والتفت لنهلة، خاطبها بنرفزة:

- احترمي نفسك نهلة.. أنا لم أغازل إيلينا إنها مجرد أوهام صورها لك عقلك المريض..

اقتربت منه نهلة وهي ترد وقد علا صوتها:

- عقلي أنا المريض؟ يفترض بك أن تحترمني سيد سوار.. على الأقل أمام هذه الغريبة..

تلك العبارات جعلت سوار يخاطب نهلة بحدة أكبر:

- غادري نهلة.. لم يكن عليك مرافقتي إلى هنا من البداية.. لكن لا، كيف ستفوت الآنسة نهلة أيمن الرفاعي فرصة أن تثبت للجميع بأنها تسير خطيبها كيفما تشاء..

في تلك اللحظات وبسبب احتداد الشد والرد بين نهلة وسوار قامت إيلينا من مكانها وهي تقول:

- حسن يا سادة.. أنا أستأذن..

اقترب منها سوار وخاطبها بارتباك:

- أنا أعتذر منك آنسة إيلينا.. سأسوي الموضوع فورا..

اقتربت منه إيلينا ثم شبكت ذراعيها إلى صدرها وهي ترد بنبرة جادة:

- سيد سوار.. سبق وأخبرتك أنني لا أحب أن أجلس كالغبية لا أفهم ما يحصل أمامي ..

أراد سوار الاعتذار من إيلينا مجددا وهو يرى تلك النظرة الحادة في عينيها تماما كما حصل في الاجتماع الأول، فتح فمه ليتكلم لكن نهلة دفعته من أمام إيلينا وحدقت بها بتحد، ثم خاطبتها:

- الأمر لا يخصك من الأساس.. أم أنك تريدين أن تتدخلي حتى في خصوصياتنا أنا وخطيبي..

سحب سوار نهلة ولفها باتجاهه ثم صاح بها:

- احترمي نفسك نهلة..

وقتها اقتربت إيلينا منهما، حدقت بنهلة ثم ردت منتهى البرود والثقة:

- أنا لا يهمني ما يحصل بينكما أساسا.. كل ما يهمني أن تحترما وجودي.. وإن كنتما تريدان مناقشة أموركما الخاصة فالشركة ليست المكان المناسبة.. آنسة نهلة الرفاعي..

ثم غادرت المكتب تاركة نهلة تكاد تنفجر من الغيظ، التفتت لسوار لتواصل عتابها له لتتوقف عن الكلام وهي تحدق بوجهه الذي اعتصر من الغضب، خاطبته بتوتر:

- سوار.. أنا..

حدق سوار بنهلة بنظرات حانقة، ثم التفت إلى الخلف واتجه نحو مكتبه وهو يخاطبها بنبرة حادة:

- غادري الشركة نهلة.. غادري قبل أن يبدر مني تصرف لن يعجبك مطلقا..

ابتلعت نهلة تلك الإهانة رغما عنها ثم حملت حقيبتها وخرجت من المكتب، التفتت حولها لمن في مكتب السكيرتاريا الذين تفاجؤوا بمغادرتها لوحدها، حدقت بهم باستعلاء محاولة أن لا يبدو عليها شيء ثم انسحبت من أمامهم سريعا قبل أن تضطر لسماع تهامسهم عليها..

أخيرا أوقف أسامة سيارة سالي عند موقف سيارات الشرطة، التفت لسالي التي كانت تطأطئ رأسها خجلا، خاطبها بنرفزة:

- كل هذه المخالفات في مسافة لا تستغرق نصف ساعة على الأقدام؟ لو كنت أعمل بشرطة المرور لسحبت رخصة قيادتك ورخصة قيادة من منحك إياها..

رفعت سالي رأسها ثم صاحت بأسامة محاولة إخفاء إحراجها:

- حصل ذلك بسببك أنت.. لو توقفت عن تقديم الملاحظات لي لما ارتبكت بهذا القدر..

وقتها أمسك أسامة سالي من أذنها بقوة وهو يرد غضب:

- لولا تلك الملاحظات لكنا الآن في عداد الموتي أيتها الحمقاء..

ثم تركها وترجل وهو يضيف:

- أنصحك أن تبيعي هذه السيارة وتتبرعي بثمنها بدل أن تتحول إلى خردة خلال أيام..

في ذلك الوقت كان سوار متوجها إلى مكتب إيلينا ليعتذر منها عما حصل، لكنه التقى بها وهي في طريقها إلى المصعد.

أوقفها قائلا:

- إيلينا.. لِمَ كل هذه العجلة؟ هل هناك خطب ما؟

التفتت إيلينا إلى سوار على وقع صوته، ابتسمت له وهي ترد:

- أعتذر سيد سوار لم أنتبه إلى وجودك.. اتصل بي والدي منذ لحظات.. إنه الآن في المطار.. علي أن أقله إلى شقتنا بنفسي فهو لم يسبق له زيارة المدينة..

اقترب منها سوار متسائلا:

- هل يمكنني أن أقلك إلى المطار إن كنت لا تمانعين؟

إيلينا مبتسمة:

- سأكون ممتنة لك سيد سوار.. فأنا لا أملك سيارة بعد..

وهكذا استقلا المصعد إلى الطابق الأرضي ومنه اتجها إلى موقف سيارات الشركة لينطلقا معا إلى المطار بسيارة سوار..

وما هي إلا ربع ساعة كانت خلالها سيارة سوار متوقفة على الرصيف المقابل لمطار العاصمة، ترجلت منها إيلينا على عجل متلهفة للقاء والدها، أرادت قطع الطريق السيار الذي كانت فيه سرعة السيارات توازي سرعة الريح، لكن لهفة إيلينا تلك كانت أكبر من أن تجعلها تراقب خطواتها التي لم تنتبه لها إلا على صوت بوق شاحنة بضائع قادمة من بعيد بسرعة خيالية جعلتها تتسمر مكانها وكأن حركتها شلت منتظرة مصيرها المحتوم..

ما أن ترجل سوار من سيارته حتى أسرع الخطوات خلف إيلينا التي لم تكن تنصت لتحذيراته لها أثناء قطعها الطريق السريع، أدركها في آخر لحظة وهي في منتصف الطريق تغمض عينيها خوفا من تلك الشاحنة المقبلة باتجاهها، أمسكها بقبضته من ساعدها ثم سحبها بقوة لترتمي في حضنه مبعدا إياها عن الخطر..

ظلت إيلينا متشبثة بقميص سوار الذي لم يترك ساعدها حتى بعد أن أصبحا على الرصيف الثاني، خاطبها مطمئنا:

- لا تقلقي إيلينا.. أنت الآن بأمان..

فتحت إيلينا عينيها ورفعت رأسها باتجاه سوار وقد بدأت دقات قلبها تهدأ، خاطبته وهي تطلق نفسا عميقا:

- أشكرك سيد سوار.. لولاك لكنت الآن ميتة..

ابتسم لها سوار فيما هو يرد:

- أنا في الخدمة إيلينا..

ابتعدت إيلينا عن سوار قليلا لتتفاجأ بأن قبضته لا تزال تحيط بذراعها، رفعت رأسها باتجاهه وهي تبتسم بعذوبة وتردف:

- هل تعلم سيد سوار؟ أنت تمتلك خصلة عجيبة..

حدق بها سوار بتعجب ثم خاطبها مستفسرا:

- خصلة عجيبة؟

عادت إيلينا لتحدق بساعدها التي لا تزال في قبضة سوار، أضافت مبتسمة:

- أنت تستخدم قبضتك بسرعة خيالية.. أظنها رد فعل تعودت عليه سيد سوار.. لقد حدث هذا معنا في كل المرات التي التقينا فيها إن كنت تذكر..

وقتها ترك سوار ذراع إيلينا بسرعة وقد أحس بالإحراج، رد عليها وهو يغمز لها:

- هذا لأن لي حظا كبيرا من اسمي..

أنصتت إيلينا لكلمات سوار بتركيز شديد، عادت لسؤاله متعجبة:

- لك حظ من اسمك؟ لم أفهم..

استرسل سوار في الكلام مبتسما:

- السوار في لغتنا يعني السور الذي يحيط الحدائق ليحميها ويحفظ ملكيتها لصاحبها، وهو كذلك قطعة الحلي التي تلفها الفتيات حول معاصمهن للزينة..

إيلينا وهي تضحك بهدوء:

- لهذا تلتف قبضتك بسرعة حول معاصم الفتيات سيد سوار..

ثم أضافت وهي تتجه نحو بوابة المطار الرئيسية:

- لندخل سيد سوار.. لقد أضعنا ما فيه الكفاية من الوقت..

ودلفت المطار تاركة سوار مكان يحدق بقبضته مخاطبا نفسه بتركيز شديد:

- لِمَ لم أنتبه من قبل إلى رد فعل قبضتي هذه؟ أم تراها تأثرت هي الأخرى بالحادثة التي حصلت لي؟

الفصل الحادي عشر

في قاعة الاستقبال وقفت إيلينا مكانها تحدق بالمارين أمامها إلى أن لحقها سوار الذي لاحظ ارتباكها، اقترب منها وخاطبها مبتسما:

- الأفضل أن نتجه إلى شباك تأشيرات الدخول إيلينا..

التفتت له إيلينا ثم هزت رأسها موافقة على اقتراحه، تمشيا خطوات باتجاه شباك التأشيرات ليتوقف سوار مكانه مبتسما من منظر إيلينا التي أسرعت راكضة وارتمت في حضن كهل يبدو في الخمسين من العمر، أدرك أنه السيد إمانويل ألفاريس؛ والدها..

بانتهاء طقوس اللقاء الحار بين إيلينا ووالدها أشارت إليه ليتقدما نحو سوار الذي اعتدل في وقفته احتراما لهما..

إيلينا وهي تقترب متأبطة ذراع والدها:

- أعرفك أبي.. هذا السيد سوار الأنصاري..

ثم أضافت وهي تحدق بسوار مشيرة لوالدها:

- هذا والدي سيد سوار ..

اقترب سوار من السيد إمانويل ومد يده لتحيته وهو يقول مبتسما:

- يسرني لقاؤك سيد إمانويل ألفارس..

السيد إمانويل وهو يصافح سوار مبتسما:

- إذن هذا هو سوار الأنصاري؟ شريكنا الشاب..

بانتهاء اللقاء والتعارف تطوع سوار من أجل إيصال إيلينا ووالدها إلى حيث تكون شقتهما، وغادر سريعا رغم إلحاحهما عليه للصعود معهما إلى الشقة لأنه لم يشأ مقاطعة تلك اللحظات بينهما التي جعلت إيلينا تبدو أمامه في قمة سعادتها.

في تلك الليلة استلقى سوار على سريره ممسكا بمفكرته كعادته، في محاولة منه لمعرفة تفاصيل الأحداث التي سبقت الحادث الذي حصل له..

سوار بهدوء وتركيز شديدين:

- كلمات عمتي تلك جعلتني أكثر رغبة في جعلك خاتما بإصبعي، شيئا من أملاكي الخاصة، هذا عدا عن أنني لم أتعود على أن تصمد أمامي أي فتاة، فما بالك بشابة بسيطة أخالها لا تستطيع كتابة اسمها بشكل صحيح..

* * *العاصمة قبل سنة وبضعة أشهر* * *

انطلق سوار بسيارته متجها نحو العاصمة ليوافي موعد طائرة ابنة عمه؛ ريهانا إسماعيل الأنصاري، كان طيلة الطريق يفكر بكيفية التعرف عليها كونه لا يملك أي معلومات حول شكلها، ظل يخاطب نفسه متهكما:

- أظنها ستدخل المطار مرتدية ساري أحمر أو أخضر.. حتى أنني لا أعلم بأي لغة سأكلمها، أتمنى أن لا أكون مضطرا لتعلم الهندية من أجل الكلام مع ريهانا تلك..

أخيرا صف سيارته في موقف السيارات، ترجل منها واتجه نحو مكتب الاستعلامات ليخبروه بأن الرحلة ستصل في غضون دقائق، وأمام حيرته في كيفية التعرف على تلك الوافدة اقترح عليه أحدهم أن يكتب اسمها على لافتة باللغتين العربية والانجليزية.. وهذا ما فعله فعلا..

وقف سوار عند الحاجز الحديدي الذي يفصل ركاب الرحلة المنتظرة عمّن جاؤوا من أجل استقبالهم، ظل على تلك الحال إلى أن أعلنت إحدى الموظفات عن وصول الرحلة القادمة من مومباي عبر الميكروفون، وانتظاره لم يطل ليجد عددا من الركاب يمرون عبر حاجز التفتيش، وحدسه لم يخب عندما رأى عددا من النساء والرجال بأزياء هندية تقليدية، غير

أن البعض الآخر بدا له من جنسيات مختلفة، وما أن لاحظ اقترابهم نحو الممر حتى رفع اللافتة عاليا وهو يخاطب نفسه بتململ:

- أتمنى أن لا يراني أحد معارفي على هذه الحال.. كم أشعر بالسخف..

وما لبث أن عاد لعادته في التحديق بالفتيات اللواتي يتمشين أمامهن واللواتي أثرن إعجابه طبعا..

وقتها عاد ليقول بنبرة ماكرة:

- حسن الأمر ليس سيئا إلى هذه الدرجة.. المطار هو أنسب مكان لتجمع جميلات العالم..

وظل على تلك الحال يحدق بهذه ويغمز لتلك، إلى أن نسي أمر ريهانا تماما..

وباستغراق سوار في نظراتها المتفحصة تلك انتبه قسرا لإحدى الجميلات تتقدم نحو الممر، كانت ذات جمال هادئ، مرتدية ثوبا أسود اللون يعبر عن ذوقها الراقي، وشعرها الطويل ينسدل حول وجهها الجميل، وهي تحاول إزاحة خصلتها عن عينيها السوداوين الناعستين..

حدق بها سوار مطولا ، ثم أطلق نفسا عميقا وهو يقول بخيبة:

- سامحك الله عمي إسماعيل.. لِمَ لم تتزوج شابة أوربية أو أمريكية.. كنت حصلت على ابنة كهذه الحسناء المتجهة نحوي أو أجمل..

وقتها وقف سوار باعتدال بعد أن انتبه إلى أن الحسناء تتجه نحوه فعلا، إلى أن وقفت مقابله محدقة به..

سوار بارتباك:

- هل تحتاجين مساعدة آنستي؟ أنا في الخدمة..

ابتسمت له الفتاة بخفوت ثم ردت وهي تشير للّافتة التي حملها:

- تلك اللافتة سيدي.. أقصد أن المكتوب عليها...

أرادت إكمال جملتها لكن سوار أنزل اللافتة بسرعة وأخفاها خلف ظهره وهو يضيف بتودد:

- تلك اللافتة لا شيء.. والمكتوب عليها غير مهم إطلاقا..

ثم أضاف وهو يرسم ابتسامة جذابة على ملامحه:

- ما يهم الآن هو أنت آنستي.. أنا في الخدمة..

أنصتت الفتاة لكلمات سوار تلك التي جعلت ملامحها تمتعض، أرادت الرد عليه لكنها تمالكت نفسها، حدقت به بنظرات مستخفة ثم انصرفت ساحبة حقيبتها خلفها، وتاركة سوار مكانه يحاول استيعاب تصرف الفتاة..

قضى سوار ساعتين في المطار معتقدا أن ريهانا لربما تكون ضاعت هنا، حاول التأكد من وصولها على الرحلة أو لعلها تخلفت، لكن موظف الاستعلامات أكد له أنها دخلت البلاد منذ ساعتين على نفس الرحلة، وهكذا خرج سوار من المطار واتجه إلى سيارته، جلس على مقعده وهو يقول بضيق:

- كنت أعلم أن تلك الغبية ستتوه بمجرد أن تطأ قدماها أرض البلاد..

ثم أضاف بتوتر:

- سأصبح أضحوكة جميع من في القصر..

وبعد تفكير طويل قرر سوار حجز غرفة في فندق المطار ليقوم بمحاولة ثانية للعثور على ريهانا قبل عودته إلى المزرعة..

انطلق بسيارته إلى الفندق وحجز غرفة هناك قضى فيها معظم يومه نائما، ليقوم بغياب الشمس ويستعد للسهر..

ارتدى سوار ملابس شبابية كان قد أحضرها معه لأنه كان ينوي من الأساس قضاء ليلة في أحد الفنادق في حالة وصول ريهانا ليلعب دور المرشد السياحي لها، نزل إلى مطعم الفندق ليتناول وجبة سريعة، وهكذا جلس إلى إحدى الطاولات في انتظار وصول طلبه..

ظل سوار يعبث بهاتفه بملل إلى أن لفت انتباهه جلوس فتاة المطار الغريبة تلك إلى إحدى الطاولات تتناول عشاء مبكرا هادئا، دفعه الفضول إلى فهم سبب تركها له في المطار فقام عن مقعده واتجه إليها..

سوار وهو يقف مقابل الفتاة:

- آنستي هل يمكنني الجلوس معك؟

التفتت له الفتاة للحظات، أنصتت لكلماته تلك ثم عادت إلى تناول طعامها دون أن ترد..

وقتها أحس سوار بالضيق الممتزج بالتحدي، سحب المقعد المجاور لها وجلس عليه بمنتهى الوقاحة..

سوار بإصرار:

- أعلم أنني أتصرف بقلة أدب، لكنني أريد أن أفهم سبب نظرتك العدائية لي صباحا..

مسحت الشابة شفتيها بالفوطة ثم التفتت إلى سوار، خاطبته بهدوء:

- نسيت أن أسألك.. هل التقيت ذلك الشيء غير المهم الذي كنت تكتب اسمه على اللافتة صباحا؟

سوار مبتسما:

- هل انزعجتِ من كلمة لا شيء؟

ثم أردف:

- أنا لم أقصد إهانة أحد.. لكنني كنت في انتظار قريبة لي؛ فتاة قروية غير متعلمة اضطررت لكتابة اسمها على اللافتة رغم أنني أعلم أنه لا جدوى من ذلك..

الشابه وهي ترفع حاجبيها باهتمام:

- لم أفهم..

سوار بنفس اللهجة المستهجة:

- لقد تاهت الفتاة منذ اللحظة الأولى لدخولها البلاد.. وهذا الأمر كان متوقعا للأسف..

الشابة باهتمام أكثر:

- وماذا فعلت من أجل إيجادها؟

ابتسم لها سوار ثم حرك مقعده مقتربا منها وهو يقول:

- دعينا من الحديث عنها.. ما رأيك أن نتعرف على بعض؟

ثم مد يده ليحييها مضيفا:

- أدعى سوار الأنصاري.. ماذا عنك آنستي؟

حدقت الفتاة بيد سوار الممدودة لتحيتها لحظات، ثم قامت من مكانها وانصرفت متجاهلة إياه تماما..

وقتها وقف سوار يحدق بها بذهول، خاطب نفسه بغيظ شديد:

- يا لها من قليلة تهذيب.. من تحسب نفسها؟ ليس سوار الأنصاري من تتجاهله فتاة مهما كانت جميلة..

أنهى سوار تلاوة أحداث يومه ذاك وهو يضحك لأول مرة منذ بدأ يقرأ مذكراته، خاطب نفسه وهو يحاول التوقف عن الضحك:

- كم كنت سخيفا.. أظنني أستحق ما فعلته الشابة معي يومها..

ثم أضاف وهو يحدق بسفر المفكرة متعجبا:

- لكن لِمَ دونت هذه القصة في مفكرتي؟

الفصل الثاني عشر

كان سوار يتناول فطوره بهدوء، توقف للحظات وهو يرى اسم عمته ثريا يظهر على شاشة هاتفه، ابتسم باستخفاف وهو يقول:

- واضح أن الأخبار وصلتها بالتفصيل..

سوار عبر الهاتف:

- أمي.. يا لها من مفاجأة سارة..

العمة ثريا بنرفزة من الهاتف:

- لا داعي لأن تضحك علي بكلماتك سوار.. أظنك تعلم جيدا لِمَ أتصل بك..

سوار بضيق شديد:

- أعلم أن نهلة اشتكتني لك عمتي.. وقبل أن تلقي التهم علي أريد أن أخبرك بأنها هي المخطئة..

العمة ثريا وهي تطلق نفس عميقا:

- لا يهمني من المخطئ.. أريدك تعدني بأنك ستسوي الأمور مع نهلة عزيزي..

خاطبها سوار باستسلام تام:

- أعدك عمتي أنني سأتصل بها فور أن أنهي مكالمتي معك..

وهكذا أنهى سوار تلك المكالمة وعاد للاتصال بنهلة لعله يستطيع تسوية الأمور معها كما وعد عمته، انتظر على الهاتف للحظات قبل أن يتلقى الرد الذي لم يكن من نهلة..

سوار بارتباك:

- نهلة.. هل هذه أنت؟

على هاتف نهلة جاء الرد بصوت رجولي يجيب:

- أنا أيمن الرفاعي يا سوار..

سوار وهو يقوم مرتبكا:

- سيد أيمن؟ كيف حالك سيدي؟

السيد أيمن بنبرة جادة:

- أنا بخير سوار..

ثم أضاف بهدوء:

- هل يمكنك أن تزورني في الفيلا خاصتي؟ أريد الكلام معك في موضوع مهم ومصيري..

سوار بإذعان:

- كما تريد سيد أيمن.. نصف ساعة على الأكثر وأكون عندك..

قام سوار على إثر تلك المكالمة متجها نحو سيارته للحاق موعده وهو يدرك أن هناك الكثير من الأمور ستتغير بعد هذا اللقاء المرتقب..

في البلدة

كانت ليلى تقوم بجولة صباحية رفقة هانتر الذي أصبح جسده منهكا عليلا بسبب امتناعه عن الطعام، توقفت فجأة بعد أن سمعت صوتا آتيا من خلفها، التفت لتجده جارهم زياد الذي يبدو أنه كان يمارس رياضة الركض في ذلك الوقت من الصباح..

اقترب زياد من ليلى راكضا، توقف مقابلها ثم حياها مبتسما:

- كيف حالك ليلى؟ لم أرك منذ زمن..

ليلى مبتسمة:

- سيد زياد؟ سعيدة برؤيتك.. حسن قررت الخروج اليوم مع هانتر لعل مزاجه السيء يتغير بعد هذه النزهة..

تقدم زياد من هانتر ثم انحنى بكامل جسده نحوه وهو يتحسس رأس الكلب قائلا:

- لقد نحل جسده جدا.. أظنه لا يأكل جيدا أليس كذلك؟

أطرقت ليلى رأسها بحزن وهي ترد محاولة مداراة دموعها:

- هو لم يأكل شيئا منذ أيام.. أظنه سيموت قريبا إن بقي على هذه الحال..

زياد وهو يعتدل ملتفتا لليلى:

- هذا حال الكلاب عزيزتي.. تفقد رغبتها في الحياة بمجرد ابتعادها عن صاحبها ..

ثم أضاف بأسف والحزن بادٍ على ملامحه:

- وأظن هانتر مثلي.. فقد رغبته بكل شيء منذ غادرت ريهانا..

انتبهت ليلى إلى نبرة الحزن في صوت زياد، خاطبته بتردد وإحراج:

- أنت كنت تحب ريهانا سيد زياد أليس كذلك؟

حدق بها زياد مطولا ثم رد عليها بألم:

- بلى.. أنا أغرمت بها منذ أول لحظة التقت فيها عيناي بعينيها الجميلتين..

وأغمض عينيه محاولا تجميع تلك الذكرى الجميلة في مخيلته..

* * *العاصمة قبل سنة وبضعة أشهر * * *

كان زياد وقتها يتمشى على رصيف موقف الباصات بالعاصمة يحاول أن يلمح الباص المتجه إلى تل العاج، سار بين الباصات دقائق إلى أن توقف بعد أن سمع صوتا أنثويا آتيا من خلفه يقول:

- سيدي.. هل يمكنني أن أسألك؟

التفت زياد نحو مصدر الصوت لتقع عيناه على صورة تلك الحسناء ذات العينين السوداوين الناعستين المتسائلتين، رد عليها محاولا تمالك نفسه أمام جمالها:

- أجل آنستي.. أنا في الخدمة..الشابة وهي تقترب منه ساحبة حقيبتها:

- لقد قطعت تذكرة إلى بلدة تل العاج وأنا أبحث الآن عن الباص الذي سيأخذني إليها.. هلا ساعدتني سيدي؟

كاد قلب زياد يرقص فرحا عندما علم أن الفتاة تنوي الذهاب إلى نفس المكان، خاطبها بلهفة حاول إخفاءها عبثا:

- أنا أيضا ذاهب إلى هناك آنستي.. تعالي معي من فضلك..

وهكذا ظلا لدقائق يسألان عن باص البلدة إلى أن استدلا عليه، في ذلك الوقت كان زياد قد استأذن الشابة أن يحمل حقيبتها عنها..

صعدا الباص معا وتمشيا بين المقاعد إلى أن لاح لهما مقعدان متجاوران فارغان، اتجها إليه ليفسح زياد الطريق للفتاة كي تجلس قرب الشباك ثم جلس هو قربها..

زياد وهو يلتفت للفتاة مبتسما:

- أظنك غريبة عن البلدة.. لم أرك هناك من قبل..

الفتاة مبتسمة:

- بلى سيدي.. هذه أول زيارة لي للبلدة..

مد زياد يده للفتاة وهو يقول بنبرة جادة:

- نسيت أن أعرفك بنفسي.. أدعى زياد توفيق، أعمل طبيبا بمشفى خاص بالعاصمة.. لكنني من أهالي تل العاج..

الشابة مبتسمة وهي تمد يدها لتحيته:

- تشرفت بمعرفتك سيد زياد.. أدعى ريهانا الأنصاري..

زياد وقد أصيب بالذهول:

- الأنصاري؟ هل أنت من عائلة الأنصاري حقا؟

ريهانا مبتسمة وهي تسحب يدها:

- بلى.. أنا ابنة إسماعيل الأنصاري رحمه اللّه ..

ثم أضافت وهي ترى علامات الدهشة على وجه زياد:

- إنها قصة طويلة.. يمكنني أن أقصها عليك إن أردت..

وظل كل من زياد وريهانا كل الطريق يتكلمان معا محاولين التعرف على بعض إلى أن وصلا إلى موقف الباص بتل العاج، وقتها ترجلا وتطوع زياد من أجل إيصال ريهانا إلى قصر عائلة الأنصاري الذي لا يبعد عن الفيلا خاصته..

وقف زياد أمام بوابة القصر وهو يشير بيده إلى الداخل قائلا:

- هذا قصر آل الأنصاري ريهانا.. هل تريدينني أن أدخل معك؟

ابتسمت له ريهانا بتودد ثم ردت:

- لا تقلق زياد.. يمكنني تدبر أمري.. لا أظنهم يأكلون لحوم البشر..

ضحك زياد من كلمات ريهانا بهدوء، ثم اقترب منها وخاطبها مبتسما:

- سررت بالتعرف عليك ريهانا.. أتمنى أن تعتبريني صديقا لك..

ابتسمت له ريهانا ثم ردت:

- وأنت كذلك زياد..

ثم ودعته ودلفت القصر الذي وطئته قدماها لأول مرة في حياتها معلنه عن بداية الصراع بينها وبين آل الأنصاري..

***

أخيرا فتح زياد عينيه بعد ذكرى جميلة رسمت البسمة على شفتيه رغما عنه..

في العاصمة

توقفت سيارة سوار أمام فيلا السيد أيمن الرفاعي ليترجل منها ويخطو خطوات سريعة وسط الممر المحاط بالأعشاب، دق جرس البوابة ليهرع إليه أحد الخدم ويفتحه له وهو يقول مرحبا:

- سيد سوار.. تفضل إلى الصالة من فضلك.. سأبلغ السيد أيمن والآنسة نهلة بوصولك..

جلس سوار في الصالة أكثر من ربع ساعة احتسى خلالها فنجان قهوته، حدق بعقارب ساعته وهو يخاطب نفسه بحنق:

- ماذا يعنيان بهذا؟ هل يتعمدان إهانتي؟

في تلك الأثناء سمع صوت خطوات قادم من أعلى الدرج، قام من مكانه وعيناه معلقتان بنهلة ووالدها اللذين نزلا بهدوء واقتربا منه..

سوار بنبرة جادة ذات معنى:

- كيف حالك سيد أيمن؟ لقد وصلت على الموعد كما طلبت مني..

السيد أيمن وهو يجلس باسترخاء:

- أعتذر منك سوار.. كنت أنهي بعض الأشغال العالقة..

التفت سوار لنهلة التي كانت تحدق به بنظرات لائمة، خاطبها بنفس الجدية:

- ماذا عنك نهلة؟ لِمَ لم تنزلي لمقابلتي؟ أنا هنا منذ ما يزيد عن الربع ساعة..

أرادت نهلة الرد لكن قاطعها صوت والدها بنفس الهدوء:

- اجلسا أولا.. هناك بعض الأمور التي يجب أن نتفق عليها..

بجلوس نهلة وسوار استرسل السيد أيمن في الكلام مخاطبا سوار:

- أخبرتني نهلة بتلك المشكلة السخيفة التي حصلت بينكما أمس.. ولأن الأمر بسيط سأقترح عليك تسوية مرضية للجميع..

سوار باهتمام:

- تفضل عمي.. أنا أصغي..

السيد أيمن وهو ينحني بجذعه نحو سوار ويواصل بنبرة جادة:

- أنا مستعد لشراكتك بنفس شروط العقد مع المستثمر الذي اتفقت معه.. على شرط..

سوار باهتمام أكبر:

- أي شرط عمي؟

السيد أيمن وهو يتنحنح ويعود لوضعية استرخائه:

- أولا، أن تنسى اتفاقك مع إيلينا ألفاريس تلك..

ثم أضاف بنفس الاسترخاء:

- ثانيا، أن تكتب العشرين بالمائة من أسهمي باسم نهلة.. فأنا لن أكون متفرغا لأنتيدويت، فلدي مشاريع أهم..

ثم أضاف وهو يحدق بسوار من جديد:

- ماذا قلت سوار؟

ابتسم له سوار للحظات ثم قام عن مقعده وهو يرد:

- حسن.. شروطك مناسبة لأنتيدويت فعلا ..

ثم أضاف وهو يحدق بنهلة بنظرات وقحة متعمد:

- ولا أنكر أن العمل مع نهلة سيكون مسليا بالنسبة لي جدا..

وقتها قام السيد أيمن وخاطب سوار بلهجة محتدة:

- احترم نفسك سوار..

اقترب منه سوار ثم رد وهو يجز على أسنانه بغضب:

- كنت فعلت ذلك لو أنني أحسست بأنك أنت الآخر تحترمني وتحترم شركتي سيد أيمن..

ثم اتجه نحو نهلة التي وقفت واجمة بعد أن لاحظت رد فعل سوار العدائي، اقترب منها وهو يسحب خاتم الخطبة من يده ويقول:

- أظنكما لا تعرفان أو لربما تتناسيان من يكون سوار الأنصاري..ثم وضع خاتم الخطبة في كفها وأطبق قبضتها عليه وهو يضيف بأنفة وكبرياء:

- لم تولد بعد تلك التي تعتقد أنها ستسيطر على سوار هادي الأنصاري.. آنسة نهلة أيمن الرفاعي..

الفصل الثالث عشر

دلف سوار الشركة مع حلول الساعة العاشرة وبضع دقائق، اتجه إلى المصعد منتظرا وصوله إلى الطابق الأرضي، وما أن فتح حتى انتبه إلى إيلينا تخرج منه..

إيلينا وهي تقترب من سوار مبتسمة:

- سيد سوار.. تبدو متعبا.. واضح أنك كنت تنهي بعض الأعمال المرهقة..

سوار مبتسما:

- أجل مرهقة جدا.. كنت أنهي خطبتي..

أنصتت له إيلينا جيدا لتجحظ عيناها من وقع الخبر، خاطبته مستفسرة:

- لا تقل لي أنني كنت السبب في ذلك..

سوار وهو يغمز لها:

- أظنك تتحملين بعض المسؤولية.. وأنت مدينة لي بوجبة غداء لأعوض بها جزءا من طاقتي التي فقدتها اليوم في مهاترات سخيفة مع حماي وخطيبتي..

ردت عليها إيلينا وقد أحست أنه يحاول إخفاء انزعاجه:

- ما رأيك أن نتناول الغذاء مع والدي.. هكذا لن أضطر للغداء مرتين.. وهناك احكِ لي ما حصل بينك وبين خطيبتك..

أما في مركز الشرطة فقد كان الحال كالعادة، عدد من المتهمين يلقى القبض عليهم للاشتباه فيهم بقضية ما، أسامة يقضي وقته في التحقيق معهم بينما تدون سالي بعض الملاحظات التي تعتقد أنها ستكون مفيدة لها، وفي نهاية كل تحقيق يجري ذلك النقاش المعتاد بينها وبين أسامة الذي كان انبهاره بذكاء سالي يزيد يوما بعد يوم، وهذا ما حصل معهما اليوم..

أسامة مبتسما:

- تعلمين سالي؟ لم أكن أعتقد أنك ستنجحين في مجالنا هذا ..

سالي بضيق:

- أعلم طبعا.. لطالما حسبتني فتاة مدللة لا أصلح لشيء..

أسامة وهو يضحك بقوة:

- لا أنكر ذلك سالي.. إضافة إلى أنني لازلت مصرا على أن النساء لا يصلحن للعمل في الشرطة..

سالي وهي تشبك ذراعيها إلى صدرها وتقول بغرور:

- لعلمك فقط.. النساء يبلين أحسن من الرجال في مسائل التحقيق وتحليل الأدلة..

ثم أضافت وهي ترى علامات الاستخفاف بادية على ملامح وجه أسامة:

- وهذا ليس رأيي الشخصي.. كل الدراسات تقول ذلك.. والواقع يؤكد الأمر .. أم ستنكر؟

قام أسامة عن مقعده مخاطبا سالي بنبرة مستهزئة:

- هن لا يفعلن ذلك سوى مع أزواجهن..

ثم أضاف وهو يسحب سترته:

- هيا سالي.. سأدعوك على الغداء..

قامت سالي من مكانها غير مصدقة ما قاله أسامة للتو، اقتربت منه بسرعة وخاطبته وهي تكاد ترقص فرحا:

- حقا أسامة؟ سنتغدى أنا وأنت معا؟

حدق بها أسامة للحظات، ثم تركها مكانها واتجه نحو باب مكتبه ينوي الخروج، كلمها دون أن يلتفت إليها:

- اعتبريها مكافأة على بلائك الحسن منذ بدأتِ التمرين عندي..

في شقة إيلينا أحس سوار ببعض الألفة غير الطبيعية، تعرف على والدها رجل الأعمال المحنك، الذي حكى له عن الكثير من تجاربه، محطات نجاحه وفشله، بداياته كموظف بسيط بنى نفسه بنفسه.

كان سوار يحدق بالسيد إمانويل منبهرا بثقافته وخبرته بالحياة، خُيّل إليه للحظة أنه يكلم عمه إسماعيل الأنصاري، نفس حركات يديه، نفس النبرة، حتى أنه يستخدم نفس مصطلحات عمه المهذبة المعبرة.. وقتها أحسن بالندم الشديد لأنه أضاع سبعا وعشرين سنة من حياته يعيش مع رجل كعمه إسماعيل ولم يستفد من ذلك شيئا..

لم يقطع استرسال الرجلين في الكلام سوى قدوم إيلينا مرتدية مئزر المطبخ، خاطبتهما بابتسامتها العذبة:

- هيا سيداي.. الغداء أصبح جاهزا..

وقف سوار مكانه يتأمل ملامح إيلينا رغما عنه، خصوصا أنها كانت تقف على مقربة منه، أشاح ببصره بسرعة بمجرد أن انتبه إلى ارتباكها من نظراته تلك، تقدم معها باتجاه طاولة الطعام وجلس مقابلها بينما جلس السيد إمانويل في صدر الطاولة..

إيلينا وهي تسكب الطعام في صحن والدها:

- هذا الحساء لك أبي..

السيد إمانويل مخاطبا سوار بتذمر:

- أنظر إلى شريكتك سوار.. تتعمد تعذيبي يوميا.. تضع كل الأطباق الشهية أمامي ولا تسمح لي سوى بتناول حساء الخضار..

إيلينا بانزعاج مفتعل:

- هل تشتكيني للسيد سوار يا أبي؟

ابتسم لها سوار ثم التفت للسيد إمانويل وهو يقول:

- في الحقيقة أنا من يريد أن يشتكي إيلينا إليك سيد إمانويل.. هي للآن تناديني بسيد سوار..

أمسكت إلينا صحن سوار من يده وسكب له القليل من الحساء ثم قدمته له وهي ترد مبتسمة:

- أنا آسفة سيد سوار.. ستكون أخر مرة أناديك فيها بالألقاب..

أخذ سوار الصحن من يدها وهو يرد شاعرا بالرضا:

- حسن اتفقنا إيلينا..

وهكذا بدأ الجميع بتناول الغذاء الذي تخلله بعض الكلام عن أمور الصفقة، إلى أن انتقل الحديث إلى سبب فسخ سوار لخطوبته:

إيلينا وهي تضع ملعقتها على الطاولة:

- لم تخبرني بعد سوار.. لِمَ فسخت خِطبتك بالآنسة نهلة؟ ألم تكن تحبها؟

التفت لها سوار ثم خاطبها بابتسامة مقتضبة:

- الحقيقة لا.. أنا خطبتها تلبية لرغبة عمتي.. لأنني لا أستطيع أن أرفض لها طلبا مهما كان..

أنصتت إيلينا إلى كلمات سوار الجادة تلك، خاطبته بنبرة مشبعة بالفضول:

- أيا كان؟ حتى لو طلبت منك أن تقتل أحدهم؟

حدق سوار بإيلينا وهي تنطق بتلك العبارات الأمر الذي جعلها تحاول أن تبتسم لتداري ارتباكها، لكن رده فاجأها حين قال منتهى الثقة:

- من أجل عمتى ثريا يمكنني فعل أي شيء قد يخطر على بالك.. حتى القتل إيلينا..

إنه الليل، موعد سوار الاعتيادي مع صفحات الماضي، مع وريقات مفكرته، فتحها عند آخر سطر توقف عنده، تلا تلك العبارات بتركيز شديد:

- صباح اليوم التالي عدت إلى المطار لأسأل عنك من جديد لكنني لم أحظَ بأي معلومة مفيدة، لذا اضطررت للعودة إلى تل العاج وأنا أتخيل منظري أمام العائلة، أتخيل نظراتهم المتهكمة وعباراتهم المستفزة..

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

أوقف سوار سيارته في الباحة أمام القصر، ترجل منها ودخله بخطوات متباطئة وهو يحاول التفكير في إجابة مقنعة عن عودته إلى البلدة بمفرده، تقدم خطوات نحو الصالة ليجد الجميع في انتظاره، حدقوا به وهو يدخل بمفرده لذا قاموا وقد أطلقوا عليه وابلا من الأسئلة:

العمة ثريا وهو تقوم مترقبة:

- لِمَ عدت بمفردك سوار؟

السيد محمود متعجبا:

- هل ألغيت رحلة مومباي تلك؟

وقف سوار مكانه محدقا بالوجوه المتسائلة، أراد الكلام لكن قاطعته ضحكات ساري الذي تقدم منه وهو يقول بتهكم:

- أين الشابة التي قلت بأنك ستوقعها في غرامك في ظرف ثوان يا سوار؟

وقتها شده سوار من قميصه وجذبه إليه وهو يرد بحنق وغيظ:

- لست في مزاج لتفاهاتك ساري..

عاد ليتركه وهو يأخذ نفسا عميقا، حدق بالجميع ثم قال باستسلام:

- في الحقيقة ابنة عمي ريهانا...

ثم صمت فجأة وقد اخترق مسامع الجميع صوت فتاة تجتاز باب الصالة:

- أظنني سمعت أحدا ينطق باسمي..

التفت سوار نحو الصوت لتقع عيناه على نفس الفتاة التي تسببت بإهانته مرتين بالأمس، اقترب منها محاولا استيعاب سبب وجودها بالقصر، وقف مقابلها وخاطبها بنبرة مشبعة بالذهول:

- هذه أنت؟

حدقت به الفتاة للحظات ثم تركته مكانه وتقدمت إلى وسط الصالة، حدقت بعيون الجميع وهي تضيف:

- أعرفكم بنفسي.. ريهانا إسماعيل الأنصاري..

مرت لحظات قبل أن يستطيع الجميع استيعاب الصورة الأنيقة التي أطلت بها الشابة، والشخصية الواثقة التي بدت عليها، تلك الصورة التي خيبت كل الآمال وخالفت جميع التوقعات..

اقتربت ريهانا من العمة ثريا التي كانت تزدرد ريقها من المفاجأة، ابتسمت لها ابتسامة غريبة وهي تقول:

- أظنك العمة ثريا.. أقرب شخص لوالدي رحمه الله أليس كذلك؟

ثم التفتت نحو عمها وزوجته وهي تضيف:

- سعيدة بلقائك عمي محمود.. وأنت كذلك سيدة منيرة

وعادت لتستدير إلى الخلف حيث يقف شباب العائلة، أردفت وعلى شفتيها نفس الابتسامة:

- سوار وساري والجميلة ليلى.. تشرفت بلقاء الجميع..

اقتربت العمة من ريهانا وقد بدأت آثار صدمتها تتلاشى عنها ، خاطبتها بجدية:

- أنت إذن ريهانا؟ ابنة تلك الهندية..

التفتت ريهانا إلى عمتها على وقع كلماتها لتجدها تحدق بها باستحقار، خاطبتها وهي لاتزال تحافظ على نفس ابتسامتها:

- وابنة شقيقك عمتي..

أنهت ريهانا كلماتها تلك لتصمت وهي تنصت لكلمات العمة ثريا الحادة التي اخترقت مسامع الجميع:

- لا تناديني بعمتي.. أنا السيدة ثريا الأنصاري..

وقفت ريهانا للحظات مكانها تصغي لرد العمة ثريا الذي لم يحرك منها شيئا، تركتها مكانها وابتعدت وهي تقول بهدوء مستفز:

- هذا جيد.. هكذا لن أكون مضطرة إلى ادعاء مشاعر لا أحملها نحوكم..

واواصلت ابتعادها وهي تصفق بيديها منادية الخادم:

- أليس هناك خدم في هذا القصر الكبير..

ليقبل إليها كبير الخدم وهو يقول معتذرا:

- أنا آسف آنستي.. هل تحتاجين شيئا مني؟

خاطبته ريهانا بمنتهى الثقة:

- أريدك أن تحمل حقيبتي إلى غرفة السيد إسماعيل رحمه اللّه.. لأنها من اليوم ستصبح غرفتي أنا..

وغادرت الصالة تتبع الخادم غير مبالية بأنظار البقية التي لم تستوعب بعد ما حصل للتو..

في غرفة السيد إسماعيل الأنصاري وضع الخادم حقيبة ريهانا ثم التفت لها وهو يقول:

- هل تحتاجين شيئا آخرا آنستي؟

انتبهت ريهانا التي شردت قليلا في تفحص غرفة نوم والدها، التفتت للخادم ثم ابتسمت له وهي ترد:

- بلى.. أريد خطا هاتفيا.. علي أن أطمئن عمي وصديقتي بأنني وصلت بخير..

الفصل الرابع عشر

تراجع ساري خطوات نحو الأريكة وهو يخاطب العائلة بذهول:

- هل هذه هي ريهانا فعلا؟ لا أصدق أن من تخيلناها على أنها فتاة ريفية جاهلة هي نفسها تلك الفاتنة التي كانت تكلمنا منذ لحظات..

ثم التفت لسوار وخاطبه ليخرجه من شروده:

- لا أظنك قادرا على جعلها تتكلم معك وليس أن تغرم بك..

خاطبه سوار بتحد:

- سترى ما سأفعله مع تلك المتبجحة..

وترك الصالة بمن فيها وصعد سلالم الدرج على عجل، سار برواق الطابق الثاني إلى أن وقف أمام باب غرفة عمه إسماعيل ينصت إلى حوار الخادم مع ريهانا، أمسك القبضة وأدارها ثم دفعه ودخل دون استئذان..

وقتها التفتت ريهانا خلفها على صوت الباب المفاجئ لتقع عيناها على سوار الذي تقدم نحوها، خاطبته بنرفزة:

- ما قلة الذوق هذه التي لديك؟ تدخل غرفة فتاة دون استئذان؟

أشار سوار للخادم بالانصراف من الغرفة، ثم وقف يحدق بريهانا للحظات وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة، خاطبها بهدوء:

- دعك من قصة الاستئذان عزيزتي.. ثم استرسل معبرا عن عدم تصديقه:

- إذن أنت هي ريهانا ابنة عمي؟

التفتت ريهانا خلفها وابتعدت عن سوار وهي تقول باستخفاف:

- أجل سيد سوار.. أنا هي ذلك الشيء غير المهم الذي أتيت لتقله من المطار..

ثم التفتت إليه وهي تضيف وعلى شفتيها تلك الابتسامة المستفزة:

- أم أنك نسيت؟

اقترب منها سوار حتى كاد يلتصق بها، خاطبها وهو يحدق بعينيها بجرأة زائدة ويجيب:

- أجل ريهانا.. لقد ظننتك مجرد شيء فعلا..

ثم أضاف وهو يرفع يده ليثبتها من ذقنها:

- لكنني أرى الآن أمامي شيئا آخر.. سيدة مجتمع في غاية الجمال والجاذبية..

حاولت ريهانا التملص من مسكة سوار لها إلى أن اضطرت إلى دفعه بعيدا عنها، تجاوزته واتجهت إلى باب الغرفة وأشرعته وهي تقول بلهجة متحدية:

- اخرج من غرفتي قبل أن أتصل بالشرطة سيد سوار..

دنا منها سوار وخاطبها وهو يضحك من كلماتها الواثقة تلك:

- حسن عزيزتي سأخرج.. ارتاحي الآن ونكمل كلامنا لاحقا..

في نهاية اليوم تجمعت عائلة الأنصاري على مائدة العشاء، ظل الصمت القاتل سيد الموقف إلى أن انتبه الجميع إلى ريهانا تنزل السلالم بخطوات بطيئة وهي تمسك هاتفها تكلم عبره شخص ما، تلك المكالمة التي أنصت لها الجميع رغما عنهم..

ريهانا وهي تنزل الدرج بمنتهى الدلال والتثاقل:

- أجل إيلي.. أنا بخير لا داعي للقلق عليّ، والآن لن أوصيكِ بتناول دوائك في مواعيده فهمتِ..

ثم أضافت وقد قادتها قدماها إلى حيث يجلس الجميع:

- حسن إيلي.. أبلغي سلامي لعمي، سأتصل به غدا.. إلى اللقاء..

ابتسمت ريهانا للوجوه التي نسيت نفسها وهي تتابع المكالمة، خاطبتهم بهدوء:

- آسفة على مقاطعة عشائكم العائلي..

وقتها انتبه كل فرد من الجلوس لنفسه وعادوا جميعا إلى وضعيتهم السابقة دون أن يردوا عليها، فأردفت وهي تلتفت للخادمة المنهمكة في سكب الطعام:

- أحضري لي عشاء خفيفا وبعض العصير إلى غرفتي من فضلك..

ثم انصرفت بنفس الطريقة التي أتت بها، تلك الطريقة التي زادت من استفزاز العمة ثريا التي تركت شوكتها وسكينها وهي تقول بنرفزة:

- واضح أن هذه الفتاة ليست بالسهلة.. ولن يسهل لنا التفاهم معها بطريقة ودية..

ابتسم ساري فيما كان يمضغ طعامه ويحدق بليلى بنظرات ذات مغزى ويقول:

- ما يشفع لها في هذا.. جمالها الذي لم يصادفني مثله..

وقتها طأطأت ليلى رأسها وابتلعت طعامها بغصة وهي تدرك أن ساري يعلم بأنها تحبه بكل جوارحها وهو الذي لا يتوانى عن إهانتها في كل مناسبة..

ثم عاد ساري ليلتفت نحو شقيقه وهو يضيف:

- أظنها ستكون تحد صعبا يا شقيقي العزيز..

ابتسم له سوار وقد لمعت عيناه بالإصرار:

- وأنا أحب التحديات الصعبة..

* * *

أغلق سوار المفكرة وهو يطلق نفسا عميقا ويخاطب نفسه بعدم استيعاب:

- ما هذه الحرب الغريبة التي قررت أن أخوضها؟

ثم ابتسم رغما عنه وهو يرسم تلك الأحداث في مخيلته، وما لبث أن غط في نوم عميق..

إنها الثامنة صباحا، اتصل سوار بأسامة ليتناولا وجبة الفطور معا قبل التحاقهما بعملهما، ووصلا فعلا على الموعد إلى إحدى الكافيتيريات المجاورة لمركز الشرطة أين يعمل أسامة، وهكذا جلسا معا فترة من الزمن قص خلالها سوار لأسامة كل ما حصل معه خلال اليومين السابقين..

أسامة مستغربا:

- وانفصلت عن نهلة الرفاعي فعلا؟

سوار وهو يحرك ملعقته في فنجان قهوته:

- بلى.. هذا ما حصل فعلا..

أسامة مبتسما:

- كم أنت جرئ يا صديقي.. تتحدى أيمن الرفاعي صاحب أكبر مصانع الحديد والصلب بالعاصمة، وفي عقر بيته..

حدق سوار بأسامة وهو يرد بحنق شديد:

- حتى وإن كان صاحب كل مصانع الصلب في العالم.. لم أكن لأسمح له بإهانتي ..

ارتشف أسامة القليل من القهوة وهي يقول باستسلام:

- حسن سوار.. أنت انفصلت عن الآنسة نهلة بإرادتك.. أين هي المشكلة الآن؟

أطرق سوار رأسه وهو يرد بضيق:

- المشكلة أنني حاولت الاتصال بأمي مرارا وتكرارا.. لكنها لم ترد علي..

ضحك أسامة من كلماته تلك، ثم خاطب سوار مبتسما:

- هل تعتقد أن الأخبار وصلت إلى العمة ثريا بهذه السرعة؟

سوار بنرفزة واستخفاف:

- قلت أعتقد؟ الأخبار وصلتها وبالتفصيل في ساعتها.. أعرف نهلة جيدا، هي لا تخفي شيئا عن أمي..

صمت أسامة لحظات ثم خاطب سوار بتردد:

- أريد أن أطرح عليك سؤالا لكنني أخاف من رد فعلك..

ابتسم سوار لأسامة وهو يرد:

- تريد أن تعلم لِمَ خطبت نهلة الرفاعي إن كنت لا أحبها.. أليس كذلك؟

أسامة باندهاش:

- ألم تكن تحبها فعلا؟

استرسل سوار باستلام محاولا شرح موضوع خطبته ذاك:

- لم أحبها مطلقا.. فعلت ذلك من أجل أمي..

وأضاف بنبرة حزينة:

- كنت أريد أن أسعدها.. لقد قضت معي سنة بأكملها في أمريكا.. كنت أحس بها قربي حتى وأنا في غيبوبتي.. كانت وحيدة غريبة في تلك البلاد من أجلي أنا فقط ..

ثم أطلق نفسا عميقا وهو يحدق بعيني أسامة:

- في تلك الفترة تعرفت على نهلة التي كانت قد جاءت إلى أمريكا من أجل السياحة.. كانتا تحجزان في نفس الفندق.. نهلة كانت الشخص الوحيد الذي آنس وحدتها..

بانتهاء سوار من شرح موقفه خاطبه أسامة:

- لو أخبرت العمة ثريا بأنك لا تشعر بأي انجذاب نحو نهلة لما كانت أصرت على خطبتكما..

ابتسم سوار باستخفاف وهو يرد:

- أمي كانت فرحتها بتلك الخطبة أكثر من فرحتها باستفاقتي من الغيبوبة.. أنت تعلم أنها مولعة بالعائلات الراقية كعائلة الرفاعي.. لم تكن لتهتم بكلامي إن أخبرتها أن نهلة الرفاعي لا تروقني ولن تروقني..

حدق أسامة بسوار بعض الوقت، ابتسم له ابتسامة ماكرة وهو يستفسر:

- لكن إيلينا تروقك.. أليس كذلك؟

للحظات أجفل سوار بعد التقاطه لعبارات أسامة الأخيرة، لكنه في الأخير رد بغبطة:

- إيلينا ! إيلينا شيء مختلف.. لن أستطيع تفسيره لك..

ثم أضاف باستخفاف:

- إن كنت أنا نفسي لا أفهم ما يحصل لي عندما أراها..

وأضاف وقد علت عيناه لمعة خاصة:

- أشعر وهي بقربي برغبة.. برغبة في ضمها..

أطلق أسامة ضحكة انتبه لها كل من في المقهى، خاطب سوار وهو يحاول التحكم فيها:

- أنت لا تتغير مطلقا.. على الأقل احترم كونها شريكتك..

سوار بضيق:

- أنت سخيف يا أسامة.. حسن لن أتكلم..

أسامة معتذرا:

- آسف يا صديقي.. أكمل لن أقاطعك..

سوار بنبرة جادة حائرة:

- أنا لم أقصد ما فهمته أسامة.. ما قصدته أنني أشعر بألفة غريبة تجاه هذه الفتاة.. عندما أحدق بوجهها أحس بشوق عارم لها.. وكأنها شخص قريب إليّ ألتقيه بعد طول غياب..

في البلدة

لم تخرج العمة ثريا ذلك الصباح من غرفتها بسبب ضيقها مما روته لها نهلة، ظلت تجلس على أحد المقاعد بالغرفة ممسكة بهاتفها تتفقد رسائل سوار الصباحية لها التي شرح لها

فيها سبب ما حصل، كما لم تخلُ من عبارات التودد التي كانت تقرؤها وهي تبتسم رغما عنها..

وبقيت على تلك الحال إلى أن سمعت طرقا على الباب، خاطبت الطارق:

- تفضل..

دلف الغرفة السيد محمود واقترب من شقيقته، كلمها بتوجس:

- لِمَ لم تنزلي ثريا؟ هل أنت مريضة؟..

حدقت به العمة ثريا ثم ردت باستخفاف:

- كلا.. أنا بصحة جيدة.. وأظنك ستنتظر طويلا ذلك اليوم الذي سترثني فيه..

وقتها خاطبها السيد محمود بحنق وغيظ:

- ما الذي تقولينه ثريا؟ أنا المخطئ الذي قرر الاطمئنان عليك..

ثم استدار نحو الباب يريد الانصراف، لكنه توقف حين سمع العمة ثريا تضيف على كلامها السابق بنفس اللهجة:

- وحتى إن متت محمود.. أنت لن تحصل على شيء.. لقد كتبت كل أملاكي باسم ولدي؛ سوار وساري.

الفصل الخامس عشر

في شركة أنتيدويت كانت إيلينا تجلس على مكتبها تراجع بعض الرسائل الإلكترونية الواردة إلى حساب الشركة من عملائها، لكنها توقفت عندما دخلت عليها السكرتيرة الخاصة تعلمها بأن السيد سوار ينتظر إذنها للدخول ..

قامت إيلينا بسرعة عن مكتبها وهي تخاطب السكريتيرة:

- السيد سورا ليس بحاجة إلى إذن.. أدخليه فورا..

دخل سوار مكتب إيلينا ليجدها في استقباله بوابل من عبارات العتاب..

إيلينا وهي تقترب من سوار:

- تطلب الإذن للدخول إلي؟ أنت الرئيس هنا سوار.. لا تفعل ذلك ثانية..

سوار ضاحكا:

- حسن حسن.. لا داعي للغضب.. هذه أول وآخر مرة أستئذن فيها للدخول إلى مكتبك..

ثم أضاف وهو يقترب:

- في المرة القادمة سأقوم باقتحامه بالقوة.. ما رأيك؟

إيلينا وهي تضحك بهدوء:

- كم أنت ظريف سوار..

وقف سوار مكانه هائما في تلك الضحكة اللطيفة التي رسمتها إيلينا على شفتيها، وجد نفسه يقول لا إراديا:

- ضحكتك جميلة إيلينا..

ثم أضاف وقد انتبه إلى أنه قد تورط:

- مثلك تماما..

بعدها مرر يده على شعره وهو يقول بإحراج:

- حسن أردت إكمال جملتي مادمت قد تورطت.. والآن أنا أعتذر منك..

ابتسمت له إيلينا وقد احمرت وجنتاها خجلا:

- لا عليك سوار.. أخبرني.. هل تحتاجني في شيء؟

اقترب سوار أكثر من إيلينا وهو يقول بنبرة جادة:

- أجل.. أردت مناقشة أمر الميزانية وكيف سنقوم بصرفها في وضعنا الحالي..

وفي الأخير جلسا معا ليتباحثا الأمور المالية للشركة وخطة العمل الجديدة التي يأمل الكل أن تدرّ الربح على الجميع.

بمغيب الشمس انفرد سوار بمفكرته نديم ليلته الدائم، قلب الوريقات ليقف حيث توقف آخر مرة..

سوار بتركيز شديد:

- كم كنت غريبة.. لقد قلبت الطاولة بكل حساباتنا من أول ليلة قضيتها بقصر الأنصاري.. ولم تكتفي بتجاهلك لنا فحسب.. بل وصل بك الأمر أن تحديت أهم شخص في حياتي..

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

إنه الصباح التالي لوصول ريهانا.. كان سوار وعمته والسيد محمود وزوجته في الحديقة، ملتفون حول مائدة الفطور الصباحية، يحاولون أن لا يظهروا مدى اهتمامهم أو فضولهم لما كانت تفعله ريهانا التي وقفت عند شباك غرفتها تطل عليهم ممسكة بهاتفها منذ أكثر من نصف ساعة..

ظل الجميع يسترق النظرات باتجاه شباك الفتاة إلى أن اختفت عن الأنظار، وقتها انتبهت العائلة إلى دخول شاحنة حديقة القصر وتوقفها غير بعيد عن مكان جلوسهم.. حتى أنهم تأهبوا لمعرفة ما يحصل لكنهم توقفوا وهم يلمحون ريهانا تنزل الدرجات راكضة وهي لا تزال تتكلم على الهاتف، تخاطب أحدهم فيما اجتازت طاولة الطعام قائلة بلهفة:

- أجل إيلي يبدو أنه قد وصل.. شكرا جزيلا لك.. والآن سأغلق الخط.. اهتمي بنفسك عزيزتي..

وأغلقت الخط عند وصولها إلى حيث وقف سائق الشاحنة الذي ترجل منها وقدم وثائق لريهانا وقعتها سريعا، فيما اتجها ونظرات الجميع تتبعهما نحو العربة التي فتحها الرجل ليثب منها كلب حراسة كبير الحجم وقفز في حضن ريهانا التي صاحت من الفرحة وهي تضمه:

- هانتر عزيزي.. كم اشتقت لك..

بانصراف الشاحنة تقدمت العمة ثريا من ريهانا وخاطبتها بنبرة حادة غاضبة:

- لا أظننا سنكون مجبرين على العيش مع هذا الوحش في قصر واحد ريهانا..

تركت ريهانا هانتر واعتدلت في وقفتها ثم خاطبت العمة ثريا بمنتهى البرود:

- معك حق سيدة ثريا.. ستكون قلة ذوق مني أن أجبركم على العيش مع عزيزي هانتر في مكان واحد..

ثم استدارت نحو القصر وتقدمت خطوات وهي تضيف:

- يمكنكم الرحيل إن لم يناسبكم الأمر..

تقدمت ريهانا خطوتين بعد أن ألقت كلماتها تلك لتتفاجأ بقبضة أحدهم تطبق على ذراعها وتلفها للخلف، وقتها وقفت محدقة بملامح وجه سوار الحادة محاولة التملص من مسكته التي آلمتها دون فائدة، خاطبها وعيناه تقدحان بالشرر:

- أحذرك من الكلام مع أمي بهذه الطريقة مجددا.. فهمتِ..

أراد إضافة المزيد لكنه التفت للكلب الذي تأهب للهجوم عليه، ثم عاد للتحديق بريهانا وهو يضيف بثقة:

- ولا تعتقدي أن هذا الكلب سيحميكِ مني ريهانا..

وعاد ليتركها بعد أن سمع صوت عمته تخاطبه بقلق:

- دعها سوار.. لا أستبعد من أن تطلب من هذا الوحش الهجوم عليك.. واضح أنها تتعمد إثارة غضبنا..

حدقت ريهانا بسوار الذي ترك ذراعها أخيرا، ابتسمت بنفس طريقتها المستفزة ثم أضافت:

- أنا لم ولن أهين أحدا.. أنا أحاول فقط أن أذكركم بأن هذا القصر ملكي.. ولتكونوا ممتنين لي أنني لم أطردكم منه إلى الآن.. ثم انصرفت وهي تنادي كلبها ليلحق بها..

* * *

أطبق سوار على مفكرته وأخذ يحدق بها وهو يقول مذهولا مما قرأه:

- يا للفتاة الشريرة..

في البلدة

إنه موعد النوم، دخلت ليلى القصر بعد اطمئنانها على وضع هانتر، صعدت الدرج وتمشت في الرواق إلى أن توقفت أمام غرفة ساري، اقتربت من بابها وتلمسته بحنين، أغمضت عينيها محاولة تذكر اللحظات التي كانت تسرقها من نفسها لتلتقيه، المواقف التي كانت تفتعلها عامدة لتتمكن من الحديث معه، وقوفها الدائم خلف باب غرفتها المفتوح منتظرة خروجه لتلحق به وكأن الأمر حدث بمحض الصدفة، ولاحت في مخيلتها تلك المرة التي أخبرها فيها بأنه يعلم أنها تفعل ذلك قاصدة..

البلدة قبل سنة وضعة أشهر

وقفت ليلى كعادتها خلف باب غرفتها تنظر باتجاه السلالم عبر شق الباب، ظلت مدة على ذلك الوضع إلى أن لمحت ساري يتمشى في الرواق وهو يعدل قميصه، فتحت باب غرفتها بسرعة وخرجت منها، نادته بلهفة:

- ساري.. صباح الخير..

التفت ساري نحو ليلى وهو يكمل تعديل قميصه، اقترب منها ووقف مقابلها، انحنى نحوها وهو يقول مبتسما:

- صغيرتي ليلى.. ألن تتوقفي عن هذه اللعبة؟

ليلى وهي تبتعد عنه وترد بارتباك:

- أي لعبة ساري.. أنا كنت...

ساري وهو يقترب أكثر:

- كنت تنتظرين خروجي عزيزتي..

ثم انحنى نحوها وهو يضيف بمكر:

- هل تحسبينني أحمقا لكي لا أنتبه إلى ذلك..

حاولت ليلى الابتعاد عن ساري لكنها وجدت نفسها محشورة بينه وبين الحاجز الجانبي لنهاية الدرج، رفعت رأسها باتجاهه لتجده ينحني نحوها أكثر..

ساري وهو يطوق ليلى:

- أعلم أنك تحبينني صغيرتي ليلى..

ليلى وهي تحاول الابتعاد:

- دعني أنزل ساري.. أرجوك..

اقترب ساري أكثر من ليلى، انحنى نحوها حتى أحست بنفسه يلفح وجهها، خاطبها بهدوء شديد:

- هل أنت متأكدة من أنك تريدين النزول.. ألا ترغبين في البقاء برفقتي قليلا..

قال كلماته تلك وهو ينحني نحوها ويطوقها أكثر، أحست وقتها ليلى بالتوتر والخوف مما يقوم به ساري لكنها لم تعلم ماذا تفعل، لذا أغمضت عينيها محاولة إبعاد نظراتها عنه..

كان ساري يحاول اللعب على أعصاب ليلى، والأمر راقه أكثر وهو يراها في قمة توترها، أراد مواصلة لعبته تلك لكنه ابتعد عنها حين لمح ريهانا تدخل القصر وتتجه ناحية الدرج،

وقتها نسي أمر ليلى تماما ونزل الدرجات مسرعا ليقف عند آخر درجتين قاطعا الطريق أمام ريهانا التي وقفت تحدق به منتظرة أن يفسح لها المجال لتمر..

نزل ساري درجة أخرى وهو يخاطب ريهانا مبتسما:

- ريهانا.. لم يخطر ببالي للحظة أن لدي ابنة عم حسناء..

أنصتت له ريهانا ثم همت بصعود الدرج دون أن ترد، لكن ساري تحرك قليلا لمنعها من اجتيازه، خاطبته بضيق:

- دعني أمر من فضلك..

اقترب منها ساري أكثر وهو يرد:

- ليس قبل أن نتعارف يا ابنة عمي..

خاطبته ريهانا ببرود:

- ومن قال لك أنني أريد أن أتعرف عليك..

وهمت بإبعاده لكنه شدها بقوة من خصرها وثبتها على حاجز الدرج واقترب منها وهو يقول بتحد:

- لا يهمني ما الذي تريدينه أنت.. لكنني أنا أريد التعرف عليك..

ثم مد يده يمسك بها من ذقنها ويضيف:

- يا لك من شابة مثيرة..

وقتها دفعته ريهانا عنها ورفعت يدها لتنزل بها على خده وهي تقول بحدة:

- إياك أن تتجرأ على لمسي ثانية..

تلك الصفعة التي أثارت غضب ساري جعلته يعود لإمساك ريهانا وتثبيتها حيث كانت وهو يقول بغضب عارم:

- ستدفعين ثمن صفعتك هذه غاليا..

أراد الاقتراب أكثر لكنه توقف حين سمع زمجرزة قربه، التفت إلى يمينه ليقع نظره على الكلب الذي لم يبدُ له أنه مسالم..

عاد للالتفات باتجاه ريهانا ليجدها تبتسم له وهي تقول:

- أؤكد لك ساري أنني سأجعل هانتر يقطعك إربا إن لم تتركني فورا..

وهو ما فعله ساري الذي استسلم أخيرا خوفا من منظر الكلب المتوحش، ترك ريهانا وانصرف وهو لايزال يتوعدها..

بانصراف ساري صعدت ريهانا الدرج لتتوقف مقابل ليلى التي شاهدت ما كان يحصل، كانت عيناها تلمعان بالدموع التي خلفتها إهانة ساري لها بعد أن تركها بمجرد أن لمح ريهانا تدخل القصر..

اقتربت ريهانا من ليلى وخاطبتها بنبرة جادة:

- ذلك الشاب لا يستحق مشاعرك ليلى..

ردت عليها ليلى بغضب عارم:

- لا يهمني رأيك أيتها الغريبة..

ابتسمت لها ريهانا ثم أضافت وهي تبتعد عنها:

- أردت أن أسدي لك نصيحة لا غير..

***

فتحت ليلى عينيها اللتين امتلأتا بالدموع التي كان مصدرها الوحيد ساري والإهانات المتتالية التي تجرعتها بسبب حبها له..

ابتعدت عن الباب وهي تجفف دموعها، وواصلت سيرها نحو غرفتها ..

في العاصمة

إنه يوم جديد مفعم بالجد والنشاط في أنتيدويت، الكل على قدم وساق في المعامل، أجل لقد عادت عجلة العمل لتدور من جديد معلنة بداية عهد جديد يسعى فيه الكل لاستعادة المجد الذي ضاع بوفاة السيد إسماعيل الأنصاري..

أما في مقر الشركة الرئيسي فقد عقد سوار اجتماعا استثنائيا شرح فيه خطة سير العمل، وكيفية تسيير الأمور المالية، ورزنامة المناقصات التي ستدخلها الشركة في الفترة الراهنة..

بانتهاء الاجتماع انصرف الجميع فيما ظل سوار مع إيلينا يراجعان بعض العقود، كانت إيلينا مركزة جدا في عملها، تناقش البنود بدقة شديدة، وتتكلم عن المشاريع القادمة بحماس.

أما سوار فقد ظل يحدق بها بإعجاب إلى أن توقفت بعد أن لاحظت أنه لم يعد منتبها لكلامها، خاطبته وهي تبتسم بارتباك:

- هل قلت شيئا خاطئا سوار؟أطلق سوار تنهيدة مشبعة بالإعجاب وهو يرد:
- لا أصدق أنك لم تتجاوزي الثالثة والعشرين يا إيلينا..

ابتسمت له إيلينا وردت بغبطة:

- لا تبالغ سوار.. أنا أخذت دورات مكثفة في إدراة الأعمال.. وأريد تطبيق ما تعلمته هنا..

هذا كل شيء

ثم أضافت متسائلة:

- ماذا عنك سوار؟ حدق بها سوار ثم خاطبها بلهجة جادة جدا:
- أنا؟ أنا أحبك إيلينا..

الفصل السادس عشر

خرجت إيلينا من قاعة الاجتماعات بخطوات أشبه بالهرولة، خلفها سوار يناديها محاولا اللحاق بها، أدركها عند باب مكتبه، شدها من ساعدها برفق وهو يقول تودد:

- إيلينا توقفي أرجوك..

ثم أفلتها وهو يضيف:

- لنتكلم في مكتبي من فضلك..

حدقت إيلينا بنظرات سوار المتوسلة وأذعنت لطلبه، وهكذا دخلا المكتب ووقفا يحدقا بعض..

خاطبت إيلينا سوار بنبرة امتزج فيها الغضب بالإحراج:

- لا تقل لي أنك لم تقصد ما قلته.. هذه المرة لن أصدقك..

اقترب منها سوار وخاطبها بجدية:

- لا إيلينا.. هذه المرة كنت أقصد ما قلته فعلا.. أنا فعلا أحبك..

كلماته تلك جعلت وجه إيلينا يحتقن بالحمرة أكثر، تركته مكانه وتقدمت من باب المكتب تريد الخروج، لكن قبضة سوار كانت الأسرع، أمسكها برفق مجددا وأوقفها مقابله كلمها هذه المرة باسترسال:

- إيلينا توقفي أرجوكِ.. كان في إمكاني أن لا أخبركِ شيئا إلى أن يتحدد مصير شراكتنا.. لكنني رميت كل شيء خلف ظهري، حتى مصير الشركة لأخبرك بمشاعري نحوك..

ازدردت إيلينا ريقها، ردت على سوار بعدم استيعاب:

- لكن.. كيف تريدني أن أصدقك ولم يمر على تعارفنا أكثر من أسبوعين؟

وقتها أمسك سوار كيفيها واحتضنهما إلى صدره، كلمها بتودد:

- هذا ما تظنينه أنتِ.. أما ما أشعر به أنا حقا.. أنني أعرفك حتى قبل أن نلتقي..

ثم أضاف وهو يرى تعابير وجه إيلينا غير المصدقة لكلماته:

- أعلم أن الأمر صعب التصديق.. لكن هذا ما حصل معي فعلا..

ثم ترك كفيها وابتعد عنها وهو يمرر يديه على شعره مطلقا نفسا عميقا، أضاف معقبا:

- أنا لم ولن أطالبك بشيء.. لكنني أردتك أن تعرفي ما يحصل معي.. هذا كل شيء..

وانتهى الكلام واللقاء كله بتوقف سوار عن الكلام..

في البلدة

في فيلا زياد توفيق وبالتحديد من غرفة المكتب كان ينطلق صوت معزوفة شاعرية من آلة الكمان، تلك المعزوفة التي كان يعزفها زياد بمنتهى الإتقان، كان يحرك أصابعه بحرفية على الأوتار ويداعبها بالقوس الذي يمسكه بأصابع يده الثانية..

غرق في عالمه الجميل الذي حمل في طياته لمحة حزينة، كان يغمض عينيه بهدوء ويتراجع بذكرياته إلى الماضي غير البعيد..

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

في باحة فيلا زياد توفيق، يقف زياد مكانه يحدق بالنوتة المكتوبة على دفتر الموسيقى المعلق على مسند حديدي مقابله، يمسك بكمانه بين يديه محاول عزف تلك المقطوعة التي أمامه، كان مركزا بشكل غير طبيعي على عدم الخروج عن المقام المطلوب، بإنهائه لعزفه فتح عينيه على صوت تصفيق آتٍ من الخلف، التفت بسرعة لتعلو وجهه ابتسامة عبر بها عن سعادته بتلك الزيارة غير المنتظرة..

خاطبته ريهانا باعجاب:

- واو.. لم أكن أعلم أنك فنان استثنائي دكتور زياد..

اقترب منها زياد وهو يقول بلهفة:

- ريهانا؟ لا أصدق عينيّ.. تسعدني رؤيتك مجددا..

ابتسمت له ريهانا وهي ترى لهفته إليها تلمع في عينيه، ردت عليه بهدوء:

- حسن.. قلت لنفسي بما أنك لم تزرني.. أزورك أنا يا صديقي..

خاطبها زياد بنبرة محرجة:

- كنت أريد ذلك.. لكني اعتقدت أن الوقت ليس مناسبا لمثل هذه الزيارة.. خاصة أنك تعرفت على عائلتك للتو..

أطلقت ريهانا نفسا مثقلا وهي تضم ذراعيها إلى صدرها باستسلام وترد:

- عائلتي؟ دعنا من الموضوع..

ثم حدقت بالكمان الذي يمسكه بين يديه وأضافت بحنين:

- أذكر أنني حاولت تعلم العزف على الكمان في صغري.. لكنني لم أنجح..

أشار إليها زياد بالجلوس وهو يقول:

- حقا؟ يمكنني أن أعلمك..

ثم جلس هو وهو يضيف:

- مع أنني لست سوى هاوٍ فحسب..

خاطبته ريهانا مبتسمة:

- جمال لحنك ودقته لا يقولان بأنك مجرد هاوٍ..

ثم أضافت موافقة على اقتراحه:

- إن كان عرضك ليس مجاملة فحسب فأنا موافقة عليه..

رد عليها زياد بلهفة:

- ليس مجاملة عزيزتي.. يسرني أن أعلمك العزف..

* * *

فتح زياد عينيها مع انتهاء المعزوفة وقد تلاشت تلك اللقطات، حدق بكمانه وهو يقول بحزن وحرقة:

- لِمَ فعلتِ بي هذا ريهانا؟ لِمَ تركتني بعد أن أصبحتِ كل شيء في حياتي؟

أخيرا مد يده ليمسح دمعة كادت أن تنساب على خده..

في العاصمة

بعد عدة طرقات على باب غرفة إيلينا دون فائدة اضطر السيد إمانويل دخول غرفتها لتفقدها، جال ببصره في المكان ليلمحها تقف في الشرفة محدقة بأضواء العاصمة المتلألئة، اقترب منها واحتضنها إليه وهو يخاطبها بمحبة:

- ما الذي يجعل عزيزتي تبقى مستيقظة إلى هذا الوقت؟

وضعت إيلينا رأسها على كتف والدها وهي تطلق نفسا عميقا قائلة:

- لقد حصل ما كنت تتوقعه أبي..

أبعدها والدها عنه وحدق بعينيها المتلألئتين، خاطبها بهدوء:

- هل أخبرك بأنه مغرم بك؟

ابتعدت إيلينا عن والدها، اتكأت على الحاجز الحديدي للشرفة، ثم خاطبته بنبرة ملأى بالحيرة:

- بلى.. أخبرني بأنه يحبني.. وبأمور أخرى لم أفهمها..

خاطبها السيد إمانويل بهدوء:

- ألا تثقين بحبه لك إيلينا؟

ابتسمت إيلينا ابتسامة باهتة ثم ردت:

- أثق؟ أتذكر أنني عندما منحت ثقتي لأحدهم ذات يوم.. يومها بالتحديد فقدت حياتي..

وواصلت:

- الثقة لا تمنح بتلك السهولة.. وطعم الخذلان مرّ أبي.. وأنت أكثر من يعلم ذلك..

ثم التفتت لوالدها وهي تضيف بقلة حيلة:

- ماذا أفعل أبي؟ أشر علي أرجوك..

ابتسم لها والدها ثم اقترب منها وربت على كتفها وهو يقول:

- عليك أن تقرري بنفسك ابنتي.. فالأمر يعنيك أنت بالدرجة الأولى..

في مكان بعيد عن المجمع السكني الذي تقيم فيه إيلينا، يجلس سوار رفقة صديقه أسامة يتناولان عشاءهما ويتكلمان عن نفس الموضوع..

أسامة محدقا بسوار بذهول:

- من أين أتتك الجرأة لتخبرها بكل هذا؟

سوار بأسف:

- أعلم أنني تصرفت بغباء..

ثم أضاف وهو يحدق بأسامة بألم:

- لا أريد أن أخسرها أسامة.. أنا أحبها فعلا..

أسامة وهو يطلق نفسا عميقا:

- أشعر أن الأمر غريب فعلا.. تلتقيها صدفة.. تغرم بها من نظرة واحدة.. ثم تفسخ خطوبتك بعدها بأيام.. وأخيرا ها أنت تخبرني بأنك اعترفت لها بحبك..

سوار بضيق وهو يستلقي على مقعده:

- هذا ما حصل.. والآن أريدك أن تشير علي بكيفية التصرف معها بعد اعترافي الغبي لها بحبي..

أسامة وهو يضحك:

- لا تعد لفتح الموضوع معها إلى أن تجدها هي تقوم بفتحه بنفسها.. هذا فقط..

سوار وقد تشنجت عضلات وجهه:

- حل غبي.. هكذا ستعتقد أنني غيرت رأيي.. أو لم أعد راغبا في ارتباطي بها..

تناول أسامة شوكته وسكينه وانهمك بتقطيع قطعة اللحم في صحنه وهو يقول بضيق:

- الغبي هو أنت إن كنت تذكر سيد سوار..

الفصل السابع عشر

دخل سوار غرفته وعقله مشغول بما ستؤول إليه علاقته مع إيلينا، تمنى أن لا تبتعد عنه حتى وإن ظلا مجرد شريكين لا غير، تقدم نحو سريره وألقى سترته عليه، وجلس وهو يطلق نفسا عميقا، حاول أن لا يفكر بالموضوع عبثا، لقد كانت الأفكار تتهافت إلى رأسه رغما عنه، أخيرا قام عن سريره واتجه إلى مكتبه، جلس على الكرسي وسحب المفكرة ليتلو الأحداث اللاحقة في قصته مع ريهانا..

سوار بتمعن:

- مر أسبوع يليه أسبوع وأنا دونا عن الجميع أحاول التقرب إليك، لكنك كنت تسدين كل قنوات التواصل بينك وبين عائلة الأنصاري، حتى خيل إلي أنك كرهتنا قبل أن تتعرفي علينا، تماما كما كرهناك نحن، لكنني رغم ذلك لم أمل من المحاولة.. إلى أن جاء ذلك اليوم الذي استطعت فيه الكلام معك بمنتهى الصراحة..

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

نزل سوار الباحة لتناول فطوره، وجد الجميع جلوسا وملامحهم تنبؤه بأن ريهانا قامت بتصرف مستفز كما اعتادت منذ وطئت قدامها القصر..

اقترب من عمته ثريا وقبل رأسها وهو يقول:

- هل حصل شيء جديد لا أعلمه..

اكتفت العمة ثريا بضم ذراعيها إلى صدرها وهي تتأفأف فيما انفجر السيد محمود كالمدفع قائلا:

- ابنة عمك المصون قامت بالاتصال بالسيد كامل ليعرفها على مزارع العائلة ولم تكلف نفسها عناء إخبارنا بالموضوع.. لنتفاجأ بقدوم المحامي صباحا ليقوما معا بجولة سريعة على الحقول..

ابتسم سوار فيما كان يحدق بعمته، خاطبها مستفسرا:

- إذن هما هناك الآن؟

ردت عليه العمة ثريا بضيق:

- كلا.. اتصلت به منذ برهة فأخبرني أنه أنهى مهمته.. أظنه الآن في طريقه إلى العاصمة..

عاد سوار للاستفسار أكثر:

- وريهانا؟

خاطبته العمة ثريا بضيق وهي تقوم:

- لا أعلم ولا أريد أن أعلم..

ثم انصرفت تاركة سوار مكانه يخاطب نفسه بصوت مسموع:

- أما أنا فأريد أن أعلم..

ثم ترك الباحة واستقل سيارته إلى هناك.. حيث تتواجد ريهانا في تلك اللحظات..

قاد سوار سيارته باتجاه مزارع العائلة في الجانب الغربي من البلدة، وما أن أطلت الحقول الخضراء أمامه حتى لمح ريهانا تتمشى في الاتجاه المعاكس، ركن سيارته جانبا ثم ترجل منها وعاد أدراجه خطوات ليدركها، تقدم نحوها وناداها قبل أن تبتعد لتتوقف لحظات وتحدق به باستغراب:

ريهانا باستغراب:

- سوار؟ لِمَ لحقت بي؟

ثم أضافت بتهكم:

- لا تقلق.. لم أقم بسرقة الغلة..

ضحك سوار من كلماتها تلك وهو يرد:

- دمك خفيف رغم عدوانيتك..

تركته ريهانا مكانه وتابعت سيرها، لكنه لحقها مجددا وشدها من ذراعها ليوقفها، خاطبها بنبرة جادة:

- إن كنت تنوين العودة إلى القصر تعالي معي.. سأقلك بسيارتي.. فطريقنا واحدة على كل حال..

أفلتت ريهانا ذراعها من قبضة سوار ثم خاطبته وهي تبتعد عنه:

- لست بحاجة لخدماتك سيد سوار.. سأعود على قدمي..

لحقها سوار مجددا وتمشى معها، خاطبها بعند:

- إذن سأتمشى معك..

ثم غمز لها وهو يضيف:

- هكذا ستجدين من يحملك عندما تتعب ساقاك من السير..

حدقت به ريهانا بنظرات مستهجنة وواصلت سيرها دون أن تعلق..

تمشيا لفترة من الزمن دون أن يتكلما معا إلى أن طفح الكيل مع سوار من تجاهل ريهانا المتعمد له، كلمها بضيق:

- واضح أنك حقودة.. أنت للآن لا تزالين غاضبة مما حصل في المطار؟

توقفت ريهانا عن السير والتفتت لسوار، خاطبته بابتسامة مستخفة وهي ترد:

- وماذا تريدني أن أفعل برأيك؟ أن أرقص فرحا وأنا أسمعك تصفني بالغرض غير المهم؟

ضحك سوار من تعليق ريهانا الساخر ذلك، ثم عاد ليكلمها بلطف:

- ما رأيك أن نقلب تلك الصفحة ونبدأ من جديد؟

أنصتت له ريهانا جيدا ثم ردت وهي تتركه خلفها:

- أنا لم أتعود على قلب الصفحات والبدء من جديد.. كل ما أفعله ببساطة أنني إن أتلفت صفحة من دفتري أقوم بإلقائه في القمامة مباشرة..

شدها سوار من ساعدها مجددا بقوة، خاطبها بحنق شديد:

- أنت وقحة للغاية ريهانا..

حاولت وقتها ريهانا التملص من قبضته عبثا وهي ترد:

- عليك أن تتحمل.. أنت من أردت مرافقتي..

وقتها ظنت أنها ستثير غضبه أكثر، لكنها تفاجأت به يحدق بعينيها مباشرة دون أن يتفوه بكلمة، الأمر الذي جعلها ترتبك وهي تضيف:

- ماذا؟ لِمَ تحدق بي بهذا الشكل؟

خاطبها سوار بمنتهى الهدوء:

- بعد تفكير طويل أظنني فهمت سبب تصرفاتك العدوانية مع الجميع منذ وصلتِ..

وأردف دون أن يتيح لها المجال للاستفسار:

- أظنك تكرهين آل الأنصاري بسبب كرهك لوالدك الذي تخلى عنك قبل ولادتك.. تركك تتربين لدى غرباء.. لم يهتم برؤيتك مطلقا.. حتى أنه لم يذكرك لأحد من أفراد عائلته ولم يتذكرك إلا عندما أحسن بأن أجله قد دنا..

قال سوار كلماته تلك وهو يبتسم ابتسامة انتصار يريد أن يرد بها على إهانات ريهانا المتتالية له، لكن ابتسامته تلك تلاشت وهو يراها تحدق به بنظرات ملؤها التحدي، لترتخي قبضته على ذراعها..

شبكت ريهانا ساعديها إلى صدرها فيما كانت تحدق بسوار وعلى شفتيها ابتسامتها التي تعودت أن تستفز بها الجميع، خاطبته بنبرة واثقة:

- حسن عزيزي.. مع أنني لست مجبرة على تفسير شيء لك.. لكنني سأوضح بعض الأمور التي أظنك لا تعلمها..

وواصلت الكلام مقاطعة سوار الذي تأهب للرد:

- أولئك الأغراب الذين تكلمت عنهم كانوا أقرب الناس إلى والدي.. أشخاص أحبوه بصدق، بلا مصالح، لم يكن في نيتهم أن يستفيدوا من ثروته أو نفوذ أو... أو أن يرثوه بعد وفاته.. وهم أنفسهم الذين جعلوا مني ريهانا إسماعيل الأنصاري، الشابة الراقية المثقفة التي تجيد ثلاث لغات إضافة للعربية طبعا.. عكس ما نسجه خيالكم ضيق الأفق لكم..

ثم أضافت وقد اتسعت ابتسامتها أكثر:

- أما بالنسبة لما قلته حول عدم اهتمام والدي برؤيتي.. أريد أن أخبرك بمعلومة بسيطة.. أبي كان يقضي معي شهرا كامل سنويا.. ذلك الشهر الذي أوهمكم جميعا بأنه للعلاج والاستجمام..

وواصلت باسترخاء تام:

- أما عن كرهي لكم فسببه أن لدي فكرة جيدة عن كل فرد من آل الأنصاري الأكارم.. كيف يفكر، ماذا يريد، طموحه، وأطماعه.. كل فرد سيد سوار.. خصوصا أنت.. وهذه المعلومة طبعا مصدرها والدي.. وهو مصدر موثوق على ما أعتقد..

أنصت سوار لما قالته ريهانا له للتو، ولم يخفِ تفاجؤه ببعض الحقائق التي كان يجهلها شأنه شأن العائلة، لكنه ابتسم في الأخير على وقع كلماتها عنه، خاطبها بهدوء:

- يسرني أنك تعلمين عني الكثير.. وكم أتمنى أن تتفضلي بإطلاعي بجزء من معلوماتك عني عزيزتي..

اقتربت ريهانا من سوار وهي تضيف بنفس الثقة:

- يسعدني ذلك سوار..

واسترسلت قائلة:

- أنت اسم على مسمى.. أنت تشبه السوار فعلا.. أقصد أنك أنيق، جذاب.. وثمين كذلك.. لكن للأسف؛ لا وظيفة لك في هذا العالم سوى الالتفاف حول معاصم الفتيات اللواتي ينبهرن بالبريق الزائف..

ثم أضافت وهي ترفع ساعديها إلى مستوى عينيه وتلوح بهما أمامه:

- وأنا كما ترى.. لا أحب الأساور..

وقفت ريهانا على حالها لدقائق رافعة ذراعيها أمام ناظري سوار الذي اشتعلت عيناه غضبا، رفع قبضتيه وأطبقهما على تلكما الساعديه، خاطب ريهانا بنبرة حادة متوعدة:

- أعدك أنك ستفعلين ريهانا.. أعدك أنك ستحبين هذا السوار بالتحديد.. تعلمين لِمَ؟ ليس من أجل الزينة لا.. بل ليشكل حول ذراعك الناعمة هذه جدارا منيعا لا يتحطم إلا بموت أحدنا.. أو كلينا..

* * *

ونام سوار على فراشه محتضنا تلك المفكرة التي ضمت فصولا من ذكرياته المفقودة..

الفصل الثامن عشر

وقفت الآنسة رندة قرب مكتب سوار تمرر سندات الصرف من أجل التوقيع عليها، كانت تستغرب ذلك الصمت الخانق الذي ساد الجلسة على غير العادة.. كانت تستغرب أن الشريكين كانا يراجعان السندات بعيونهما، يراقبها سوار أولا ثم يوقع عليها ويعود ليمررها لإيلينا لتفعل نفس الشيء..

وبانتهائهما من وضع توقيعيهما على كل الوثائق استأذنت السكيرتيرة للانصراف بدون تعليق، بعدها وقفت إيلينا مستأذنة هي الأخرى دون أن تنظر في عيني سوار، خاطبته بهدوء:

- وأنا سأعود إلى مكتبي.. أستأذن..

ليقوم بعدها سوار مباشرة وهو يرد:

- إيلينا أرجوك توقفي.. أريد الكلام معكِ..

التفتت إيلينا نحو سوار الذي كان يطأطئ رأسه، خاطبها بارتباك محاولا تجميع بعض العبارات:

- إيلينا.. بخصوص كلامنا أمس.. أنا.. أنا...

قاطعته إيلينا بصوتها الهادئ:

- هل تريد التراجع عن كلامك سوار؟

رفع سوار رأسه ورد بلهفة:

- كلا إيلينا.. أنا أحبك فعلا.. وإن وافقتي فسأخطبك فورا من والدك السيد إمانويل..

ثم صمت من حجم المفاجأة التي لم تخطر مطلقا على باله وهو يسمعها تجيب:

- أجل موافقة..

اقترب منها وعاد ليتأكد مما التقطته أذناه قائلا:

- موافقة؟ موافقة على ماذا بالتحديد؟

ردت إيلينا بصوت يكاد يختفي من ارتباكها:

- موافقة على طلب خطبتك لي..

انفرجت أسارير سوار على بسمة لم يستطع التحكم فيها، أطبق كفيه على يدي إيلينا وهو يقول:

- حقا إيلينا؟ تقصدين أنك تبادلينني نفس المشاعر؟

حدقت إيلينا بعيون سوار المتلألئة بالسعادة، ابتسمت له وهي ترد:

- بصراحة لا أعلم.. لكنني أنا أيضا انجذبت إليك منذ اليوم الأول الذي جلسنا فيه وتكلمنا معا.. أنا أيضا أحسست بشعور غريب بالارتياح والطمأنينة تجاهك.. ذلك الشعور الذي أصبح يكبر شيئا فشيئا..

ثم أضافت وقد اتسعت ابتسامتها:

- إن كان هذا هو الحب.. فأنا أحبك سوار..

اقترب منها سوار وضمها إليه بقوة دون وعي منه ثم عاد ليبتعد عنها وهو يقول:

- آسف آسف حبيبتي.. أقصد إيلينا.. حسن اعذريني فأنا الآن أطير من السعادة ولا أتحكم في تصرفاتي..

ضحكت إيلينا مطولا من تصرفات سوار المجنونة، خاطبته وهي تحاول تمالك نفسها:

- يا لك من مجنون سوار..

اقترب منها سوار وخاطبها بلهفة:

- لنذهب فورا إلى بيتك.. سأطلب يدك من والدك..

خاطبته إيلينا بارتباك:

- لكنه وقت العمل.. انتظر حتى ينتهي الدوام..

لكن سوار لم يصغ لكلمة مما قالته، حمل مفاتيح سيارته وهاتفه وأمسكها من يدها وخرجا معا من المكتب..

في البلدة

دلفت ليلى القصر بعد جولة سريعة قامت بها مع هانتر في الحديقة، اتجهت نحو السلالم ناوية الصعود إلى غرفتها لكنها توقفت مكانها عندما سمعت رنين الهاتف بالصالة، اتجهت إليه ورفعت السماعة، أرادت أن ترد لكنها سمعت صوت العمة ثريا تجيب، علمت أنها أجابت على الاتصال الوارد من هاتف المكتب، لذا قررت إعادة السماعة مكانها لكنها توقفت بعد أن سمعت صوتا تسارعت له نبضات قلبها..

في غرفة المكتب رفعت العمة ثريا سماعة الهاتف إثر رنينه مباشرة، خاطبت صاحب الاتصال:

- ألو.. من معي..

في الجانب الآخر رد ساري بنبرة مشبعة بالشوق والحنين:

- أمي.. اشتقت لك..

العمة ثريا بلهفة:

- ولدي ساري.. كيف حالك؟ كم أنا مشتاقة إليك..

ساري بنبرة هادئة:

- وأنا كذلك أمي.. لكنك تعلمين أنني لا أستطيع زيارتك..

العمة ثريا بحزم:

- بل تستطيع ساري.. أنت الذي لم تعد تريد العودة..

ساري بضيق:

- تريدينني أن أعود إلى مكان طُردت منه؟ ومِنْ مَنْ؟ من شقيقي الوحيد؟

العمة ثريا بتودد:

- سوار لم يعد يذكر شيئا مما حصل عزيزي ..

ساري بحرقة:

- لكنني ما زلت أذكر أمي.. أذكر إذلاله وطرده لي وبسبب من؟ بسبب تلك النكرة ليلى..

بالصالة أعادت ليلى السماعة بهدوء إلى وضعها وهي تحاول جاهدة تمالك نفسها لكي لا تقع أرضا بسبب وهن ساقيها اللتين لم تكادا تحملانها، ابتلعت غصتها إلى أن صعدت الدرج ودخلت غرفتها لتلقي بنفسها على فراشها وهي تجهش بالبكاء، بكاء بح له صوتها..

ظلت تبكي بحرقة وهي تتذكر كيف كانت هي المجني عليها يومها وليست الجانية..

البلدة قبل سنة ونصف السنة

خرجت يومها ليلى من غرفتها على صوت والدها الذي كان يتجادل مع ساري، وقفت أعلى الدرج تتابع ما يحصل ونبضات قلبها تتسارع..

كانت العمة ثريا تحول بين ساري والسيد محمود لكي لا ينقض عليه، حاولت تهدئة كليهما بلا فائدة..

ساري وهو يحاول أن يبعد عمته دون أن يؤذيها:

- يبدو أن كل كبار عائلة الأنصاري يصابون بالخرف في آخر أيامهم..

السيد محمود بحدة:

- احترم نفسك ساري.. ثم من تكون أنت لتملي علي ما أفعله بأموالي؟

ساري بنرفزة:

- تريد أن تبيع نصبك في أنتيدويت لأي كان وتقول لي أموالي؟

ثم أضاف بحرقة:

- طبعا.. من أين لك أن تأتي بالاهتمام بمصير الشركة إن كنت لم تتعب في بناء مجدها..

وواصل:

- لكنني أنا أعلم.. لقد أفنيت فيها أربع سنوات من عمري، كنت أداوم في الشركة أكثر من مداومتي في جامعتي.. أنا الوحيد هنا من تعنيه أنتيدويت..

السيد محمود ببرود:

- كل ما قلته لا يهمني ساري.. لقد قررت وانتهى الأمر..

حدق ساري بعمه والحرقة تملأ قلبه، علم أن جداله لن يجدي بشيء، وقتها انتبه إلى وقوف ليلى أعلى الدرج، ليكبر حقده أكثر، التفت لعمه مجددا وهو يقول متوعدا:

- حسن عمي محمود.. أنا فقدت أنتيدويت نهائيا.. لكنني أعدك بأنك أنت أيضا ستفقد أعز ما تملك في هذه الحياة.. شيئا لن يستطيع حتى المال إعادته إليك..

وغادر ساري القصر ليترك العمة ثريا مع شقيقها محاولة فهم الموضوع منه من جديد، وإيجاد حل قد يرضي كل الأطراف..

بحلول منتصف الليل عاد ساري إلى القصر وكل ثيابه مبعثرة، اتجه نحو غرفته ووقف مقابلها، لكنه تردد قليلا عندما لمح الضوء مشغلا في غرفة ليلى، اتجه إليها وطرق الباب..

كانت ليلى مستلقية على فراشها تطالع أحد الكتب، قامت بمجرد سماع طرق على باب غرفتها، فتحته لتتفاجأ بساري خلفه، ابتسم لها وهو يقول:

- ألم تنامي ليلى؟

ردت عليه ليلى بارتباك وهي تراه بتلك الهيئة الغريبة:

- كنت سأنام فورا..

انحنى ساري نحوها وهمس في أذنها بهدوء:

- انتظريني في الحديقة.. أريدك في موضوع مهم..

وانصرف حتى قبل سماع ردها..

وقتها كانت ريهانا كعادتها كل ليلة في ذلك الوقت تتكلم عبر هاتفها مع صديقتها إيلي، كانت تتحدث إليها وهي تتمشى داخل غرفتها، إلى أن وجدت نفسها عند الشباك المطل على

الجانب الخلفي لحديقة القصر، ظلت تتكلم إلى أن لفت انتباهها مرور شخصين باتجاه المرآب، دققت النظر جيدا لتتأكد من أنهما ليسا سوى ساري وليلى..

خاطبت ريهانا صديقتها بسرعة:

- إيلي.. سأغلق الخط.. أشعر أن هناك مصيبة على وشك الوقوع الليلة..

في تلك الأثناء كان ساري يتمشى محتضنا كتفي ليلى التي أحست ببعض الخوف من سبب اتجاههما إلى ذلك المكان المظلم، لكنها لم تشك للحظة في نوايا ساري..وصلا المرآب حيث يصف الجميع سياراتهم ودخلاه معا..

ليلى وهي تبتلع ريقها:

- ما هو الموضوع الذي تحتاجني فيه ساري؟

اقترب منها ساري بابتذال ومرر يده على شعرها وهو يرد:

- أردت الانفراد بك.. هذا كل شيء..

ابتعدت عنه ليلى قليلا وهي تقول:

- لنعد ساري.. أنا لا أشعر بالارتياح..

اقترب ساري منها أكثر إلى أن حشرها بينه وبين الجدار، انحنى نحوها وهو يرد:

- هيا ليلى.. أليس هذا ما ترغبين به؟ أن نكون معا..

حاولت ليلى إبعاده عنها وقد بدأت الدموع تتجمع في عينيها، خاطبته بتوسل:

- ابتعد عني ساري.. دعني أغادر..

وقتها دفعها ساري بعنف نحو الجدار، ثم أطبق بقبضته على فكها وهو يرد بحدة:

- لِمَ أتيت معي إن كنت ترغبين بالمغادرة؟

حاولت ليلى جاهدة الكلام والدموع تنساب من عينيها:

- أتيت معك لأنني أحبك.. ولأنني أثق بك..

اقترب منها ساري أكثر، حدق بعينيها الدامعتين وهو يبتسم بحقد:

- ولأنك تحبينني دعي الليلة تمضي على خير.. لأنك مهما فعلتِ لن أتركك..

ثم أضاف وهو ينحني نحوها:

- اعذريني عزيزتي.. لكن والدك هو من اضطرني لفعل هذا..

هنا حاولت ليلى الصراخ طلبا للنجدة لكنها وقعت أرضا بعد تلقيها لصفعة قوية منه على خدها، عاد لشدها من شعرها لتقوم مجددا رغما عنها، دنا منها قليلا ثم مد يده ليشق ثوبها، وقتها جثت على ركبتيها تتوسله أن يتركها..

لم يكن ساري وقتها يصغي لتوسلات ليلى، لم يرَ أمامه سوى صورة والدها مذلولا بسبب العار الذي سيلحق به بسبب ابنته، لم يكن يصغي سوى لتوسلاته بأن يتزوج من وحيدته ليسترها من الفضيحة..

وقتها كانت قوى ليلى قد أنهكت من مقاومة شاب في مثل قوة ساري، وها قد استطاع أخيرا تثبيتها على إحدى السيارات لكي لا تقاومه..

أدركت ليلى أنها أصبحت في قبضة وحش لن يلبث أن يفترسها ويلوث شرفها، وحش لم يهتم لا لصلة القرابة ولا حتى لحبها الذي كان على علم به.. أغمضت عينيها وابتلعت غصتها لتتركه يفعل ما يشاء..

رفع ساري رأسه على وقع صوت شخص غيره هو وليلى بالمرآب، التفت خلفه ليتلقى صفعة على وجهه جعلته يفيق من خدره، أغمض عينيه ثم عاد لفتحهما لترتسم صورة ريهانا أمامه، تحدق به باشمئزاز كبير، خاطبها غير مستوعب لكيفية علمها بوجدهما في ذلك المكان:

- ريهانا؟

شدته ريهانا من كتفه وأبعدته عن ليلى وهي تحدق به باحتقار وترد:

- أجل ريهانا أيها الوغد الوضيع..

ثم تركته مكانه واتجهت إلى ليلى لتلقي عليها وشاحا كانت ترتديه محاولة سترها عن عيني ذلك الذئب الواقف يحدق بهما..

أفاق ساري من وقع الصفعة الثانية التي تلقاها من ريهانا، اقترب منها وشدها من ساعدها بقوة، وثم دفعها إلى الجدار واقترب منها وهو يقول بغيظ:

- جيد أنك هنا ريهانا.. في الحقيقة أنت تروقينني أكثر من تلك الغبية..

ثم شدها لحضنه وانحنى نحوها محاول تقبيلها بالقوة لكنه أطلق صرخة شقت صمت المكان بعد أن أنشب هانتر أنيابه في ساقه اليمنى..انحنت ريهانا نحو هانتر وهي تحاول التقاط أنفاسها، خاطبته وهي تسعل:

- دعه هانتر دعه..

بابتعاد هانتر عن ساري الذي وقع أرضا بعد أن انفجرت ساقه بشلال من الدماء التي سببتها العضة، اتجهت ريهانا إلى ليلى التي بدأت تلتقط أنفاسها وتستعيد سيطرتها على أعصابها، ساعدتها على الوقوف وهي تقول:

- لا عليك عزيزتي.. أنت في آمان..

وخرجتا بسرعة من المرآب يتبعهما الكلب تاركتين ساري مكانه يصرخ من الألم..

الفصل التاسع عشر

أدخلت ريهانا ليلى غرفتها وأحكمت إغلاق الباب عليهما، ساعدتها على الجلوس على سريرها، ضمتها إليها وهي تراها ترتجف، خاطبتها بنبرة حانية:

- لا تفعلي هذا بنفسك.. لم يحصل شيء.. وذلك الوغد نال جزاءه..

ظلت ليلى واجمة لفترة تستعيد ما حصل منذ دقائق إلى أن انفجرت باكية..

أخيرا وصل ساري إلى القصر، دلفه وهو يجر ساقه الملطخة بالدماء، صاح هناك لعل أحدا يسمعه:

- أين الخدم؟ هل الكل نيام؟ تبا للجميع..

وقتها أفاق الجميع من نومهم هلعين، خرجت العمة ثريا لترى ما حصل، تبعها كل من السيد محمود وزوجته السيدة منيرة، ليقفا أعلى الدرج محدقين بساري المستلقي على الأريكة إلى جانبه كبير الخدم يمسك بمقص يحاول شق طرف البنطال عند الجرح..

نزلت العمة ثريا بسرعة بعد أن تعلقت عيناها بالدم النازف من ساق ساري، اقتربت منه وهي تقول بخوف:

- ساري.. ماذا أصابك عزيزي؟

خاطبها ساري بغيظ:

- إنها تلك المجرمة ريهانا.. جعلت كلبها يهجم علي..

كلمه السيد محمود الذي بدا عليه الذهول مما حصل:

- تلك المجرمة اللعينة.. لِمَ فعلت هذا بك ساري؟

ارتبك ساري للحظات لكنه رد وهو يدعي النرفزة:

- وماذا تتنظر منها عمي؟ واضح أنها تريد أن توصل رسالة للجميع بأنها لا ترغب بوجودهم في القصر..

أمعنت السيدة منيرة النظر بأثر أنياب هانتر وهي تقول بخوف:

- يا إلهي.. هذه ليست أنياب كلب.. إنها أنياب أسد..

رفعت ليلى رأسها لتكشف عن عينيها المحمرتين من أثر الدموع، أحست أنها تعيش الحادثة بتفاصيلها من جديد،

مسحت دموعها وهي تخاطب نفسها بحزم:

- يجب أن أنساه.. ساري لا يستحق حبي له..

في العاصمة

أنهى سوار ارتشاف فنجان قهوته الذي أعدته إيلينا له، ظل يحدق بترقب بالسيد إمانويل الذي لم ينطق منذ طلب منه يد ابنته..

سوار بارتباك:

- لم تجبني سيد إمانويل..

السيد إمانويل مبتسما:

- سوار.. أنا أراك شابا ناجحا، طموحا، ومجدا.. لكن القرار الأخير بيد إيلينا.. وأنا لن أجبرها على شيئا..

وقتها التفت سوار لإيلينا منتظرا أن تبدي موافقتها، لكنها لم تتكلم لذا سألها بنفسه:

- ها إيلينا.. ماذا قلتِ؟

ابتسمت إيلينا ابتسامة خجولة وهي ترد:

- رأيي أخبرتك به في المكتب سوار..

عندها أطلق سوار نفسا عميقا معبرا به عن ارتياحه، عاد لمخاطبة السيد إمانويل:

- ما رأيك أن تكون الخطبة الأسبوع القادم سيد إمانويل؟

أراد السيد إمانويل الرد لكن إيلينا قاطعته وهي تقول بتردد:

- لا سوار.. الأمور لا تسير هكذا..

ثم أضافت بتساؤل:

- ألا يجب أن تعلم عائلتك؟ أليس من الأفضل أن يتعرفوا عليّ أولا؟

ابتسم لها سوار وهو يرد:

- لا أحد سيعارض إيلينا.. لا تقلقي..

وقتها قاطعهما السيد إمانويل:

- سوار.. ما رأيك أن ترتب لقاء لإيلينا مع أفراد أسرتك الأسبوع القادم.. بعدها تتفقان على أمور الخطبة والزواج..

سوار باستسلام:

- حسن.. كما تشاءان..

وانتهى اللقاء عند هذا الحد ليعود سوار إلى الفيلا خاصته بوجه غير الوجه الذي خرج به منها صباحا..

أخيرا ارتمى سوار على سريره وهو يطلق نفسا مشعبا بالغبطة والسعادة، أغمض عينيه للحظات يستعيد فيها لحظات قبول إيلينا لحبه وموافقتها على عرض خطبته لها، كان يبتسم رغما عنه كلما ترددت في أذنيه كلمات حبيبته وهي تعبر له فيها عن مشاعرها نحوه..

اعتدل في جلوسه وهو يقول:

- لنعد إلى ذكرياتي المفقودة..

واتجه مباشرة إلى مكتبه، حمل المفكرة واسترسل في القراءة من حيث توقف بالأمس..

البلدة قبل سنة وبضعة أشهر

دلف سوار القصر وهو يمسك سترته بإحدى يديه، أراد الصعود إلى غرفته لكنه انتبه رغما عنه إلى حيث يجلس الجميع في الصالة، دقق النظر لتجحظ عيناه من منظر ساق شقيقه الدامية، حث خطواته سريعا نحوه وخاطبه بقلق:

- ما بك ساري؟ لِمَ ساقك تنزف؟

قامت العمة ثريا من مكانها وردت هي عن سؤال سوار بنبرة حادة:

- تلك الغريبة أمرت كلبها الشرس بالانقضاض عليه..

ثم أردفت وهي تبتعد:

- لن أدع الأمر يمر بهذه السهولة.. سأوقفها عند حدها..

أرادت تجاوز سوار لكنه سد الطريق بجسده أمامها، رفعت رأسها نحوه لتجد عينيه محمرتين من الغيظ، خاطبها بغضب عارم:

- لقد طفح الكيل ريهانا.. سأجعلك تدفعين ثمن الدم الذي نزفه شقيقي بسببك..

وترك الصالة والجميع يحدق باندفاعه الهائج نحو السلالم، صعدها بسرعة خيالية، اجتاز الممر إلى أن توقف أمام غرفة ريهانا، دفع الباب بعنف ودخل باحثا بعينيه عنها، خاطب نفسه بنفاذ صبر:

- أين أنت أيتها الشرسة؟

ليسمع صوتها من خلفه ترد بمنتهى الهدوء:

- هل تبحث عني سوار؟

التفت سوار باتجاهها ثم صاح بها:

- من تحسبين نفسك؟ هل تعتقدين أنك ستخيفيننا بجرو كهانتر ذاك؟

اقتربت منه ريهانا أكثر ثم خاطبته بنفس الهدوء:

- ادخل الغرفة سوار.. وسأحكي لك ما حصل ..

ثم تجاوزته ودلفت غرفتها ليليها سوار الذي أغلق الباب خلفه ثم التفت إليها، خاطبها بنفس النبرة الحادة:

- تفضلي آنسة ريهانا.. ولتعلمي بأنه ليس من السهل عليك الضحك علي..

اقتربت ريهانا من سوار وسردت عليه كل ما حصل بين ساري وليلى منذ انتبهت لخروجهما إلى حديقة القصر إلى غاية لحظة دخولها عليهما في مرآب السيارات..

كان سوار ينصت لتلك القصة التي ترويها عليه ريهانا غير مستوعب لما حصل، خاطبها بمجرد أن صمتت وكل ملامحه توحي بعدم تصديقه لكلامها:

- ساري حاول الاعتداء على ليلى! ثم صاح في وجهها منكرا ما روته له:

- لِمَ تحاولين إلصاق هذه التهمة الرخيصة بأخي؟ ساري يستحيل أن يفعل ذلك.. خصوصا مع ليلى..

ثم صمت وقد جاء رد ريهانا بنفس حدة صوته هاتفة:

- إن كنت لا تصدقني فاذهب إلى غرفة ليلى لترى ثيابها الممزقة، والجروح التي على جسدها من أثر مقاومتها.. عدا عن انهيارها العصبي..

أنصت سوار لكلمات ريهانا وقد أدرك أنها تكلمه بجديه، حدق بها جيدا لتلتقط عيناه طرف كم ثوبها الممزق وأثار خدوش على ساعديها، اقترب منها وخاطبها وهو يبتلع ريقه:

- هل حاول.. حاول الاعتداء عليك أنت أيضا ريهانا..

حدقت به ريهانا للحظات ثم أشاحت بوجهها بعيدا عنه ولم ترد، لكن ردها كان قد وصله، خرج من الغرفة ووجهه يعتصر من الغضب، توقف لحظات وهو يرى عمه السيد محمود والخادم يسندان ساري ويدلفان به إلى غرفته تتلوهما العمة ثريا، تبعهما ودخل الغرفة خلفهما، وقف هناك دون أن ينطق بحرف إلى أن انصرف عمه محمود، أغلق الباب والتفت إلى الخلف عندما سمع صوت عمته تناديه:

- سوار.. أرجوك تعال لتساعد شقيقك على الاستلقاء على فراشه..

اقترب سوار من عمته ووقف في مواجهة ساري يحدق به بنظرات حادة، وبدل أن يمد له يده أحكم قضبته وهوى بها على وجهه بقوة جعلت ساري يرتمي على الفراش وشفته تنزف دما..

التفتت العمة ثريا إلى سوار لترى الدم يحقن في وجهه، خاطبته غير مستوعبة ما فعله:

- ما الذي فعلته سوار؟ لِمَ ضربت ساري؟

لم يجبها سوار بل انحنى نحو شقيقه وشده من قميصه ليوقفه مجددا، وظل يحدق به صامتا إلى أن نطق ساري بنبرة متلعثمة:

- سوار أرجوك.. أعلم أن ريهانا قامت بتلفيق تهمة لي.. لا تصدقها.. إنها تحاول أن تبرر ما فعلته معي لا غير..

وقتها نطق سوار كلمات كانت تخرج من بين ثنايا بصعوبة:

- حاولت الاعتداء على ليلى أيها الحيوان؟ثم عاد ليسدد له لكمة ثانية أوقعته مجددا على سريره..

كانت العمة ثريا تقف مكانها تنقل عينيها بين الشقيقين غير مصدقة ما قاله سوار لتوه، خاطبت ساري بترقب:

- هل ما قاله شقيقك للتو حقيقة ساري؟ثم أضافت بحدة:

- تكلم أيها الوغد؟

رد ساري بنبرة حادة حاقدة:

- بلى أمي.. كنت أريد الانتقام من عمي محمود.. أردته أن يشعر بنفس شعوري وأنا أفقد أنتيدويت.. ولم أجد أمامي سوى مدللته ليلى..

وقتها ارتمت العمة ثريا قربه وانهالت على صدره بالضربات والدموع تغرق مقليتها، خاطبته بألم وعتب:

- ابنة عمك؟ تفعل ذلك بابنة عمك؟

أمسك ساري معصمي عمته ثم خاطبها بحدة:

- أجل ابنة عمي.. وما الغريب في ذلك؟ ألم تأذني لسوار بفعل نفس الشيء؟

ثم التفت لسوار وخاطبه بتحدي:

- أليست ريهانا ابنة عمنا أم ماذا يا سوار؟

وأردف بنفس النبرة:

- وأي عم؟ إنه إسماعيل الأنصاري.. صاحب الفضل علينا جميعا..

أصغى سوار لكلمات شقيقه المعاتبة تلك، رد عليه بذهول:

- أنا لم أكن أنوي فعل ما فعلته اليوم مع ليلى..

لحظتها جاهد ساري نفسه للوقوف، حدق في عيني شقيقه مباشرة ثم قال:

- حقا؟ وماذا كنت تنوي أيها الشهم؟ كنت تنوي جعلها تقع في حبك ثم تستولي على ثروتها.. بعدها تلقي بها خارج حياتك.. الأمران سيان.. كلهما يسمى نذالة..

اقترب سوار من ساري وشده من قميصة، خاطبه بحدة:

- لا تبرر لنفسك ساري.. لو حصل مكروه ليلى اليوم.. كنت أرغمتك على الزواج منها وإن لم ترد..

ثم تركه وهم بالانصراف لكنه تسمر جافلا مكانه وقد هاله سؤال ألقاه ساري على مسامعه:

- وماذا كنت ستفعل لو أنني فعلت نفس الشيء مع ريهانا بدل ليلى يا سوار؟

وقتها التفت سوار خلفه، دنا من ساري ثم انحنى نحوه وهمس في أذنه بنبرة جادة حازمة:

- وقتها كنت قتلتك يا ساري..

ثم ابتعد عنه وأضاف:

- لم يعد مرغوبا بوجودك معنا ساري..

قامت العمة ثريا من مكانها واتجهت نحو سوار، كلمته محاولة فهم قصده:

- هل ستطرد شقيقك من القصر يا سوار؟

سوار بحزم:

- ساري سيغادر البلاد وليس القصر فقط..

ثم التفت نحو باب الغرفة، تقدم خطوات وعاد للتوقف وهو يقول:

- جهز أوراقك بسرعة ساري.. سأجعلك تحقق حلمك في مواصلة دراساتك العليا في لندن.. وقتها ستكون مسؤولا عن فرع أنتيدويت هناك..

وانصرف من الغرفة تارك شقيقه وعمته يحاولان استيعاب قراره الحازم ذاك..

* * *

ترك سوار المفكرة من يده بعد أن عكرت مزاجه تلك الأحداث التي تلاها لتوه.. أدرك لحظتها سبب تواجد شقيقه الدائم في لندن، في الوقت الذي اعتقد فيه هو أنه تطوع بنفسه ليدير فرع الشركة هناك..

الفصل العشرون

إنها الثامنة صباحا، كان سوار يجلس في مكتبه يحاول شغل تفكيره الذي عكرته ذكريات الأمس بالتجهيز للمناقصة التي ستدخلها الشركة في غضون أسابيع لا غير.. رفع رأسه بعد أن انتبه إلى دخول إيلينا، ابتسم تلقائيا وهو يقول:

- **لو كنت أعلم أن مزاجي سيتعدل بمجرد رؤيتي لابتسامتك لكنت رافقتك إلى المعمل عزيزتي..**

إيلينا وهي تتقدم مبتسمة:

- **وما الذي عكر مزاجك سوار؟**

سوار وهو يطلق نفسا عميقا:

- **بعض الذكريات المزعجة؟**

إيلينا باستغراب:

- **ذكريات؟**

قام سوار من مكانه واقترب من مقعد إيلينا، انحنى نحوها وهمس لها بمحبة:

- بما أن يوم غد إجازة.. ما رأيك أن نذهب مساء إلى السينما؟

التفتت له إيلينا وخاطبته متسائلة:

- مساء؟ هل تعتقد أننا سنحظى بتذاكر بمنتهى البساطة؟

اعتدل سوار في وقفته ثم خاطبها مبتسما:

- لا تقلقي.. لدي صديق يستطيع تأمين التذاكر..

ثم أضاف بضيق:

- لكن هكذا سنضطر لأخذه معنا للأسف..

قامت إيلينا من مكانها وهي تضحك، كلمته بحماس:

- حسن سوار.. اتصل بصديقك.. يمكنه هو الآخر اصطحاب خطيبته أو صديقته معه..

في نفس الوقت كان أسامة يجلس خلف مكتبه منصتا لتحليلات سالي للقضية التي كانت بين يديهما، كان مركز تماما إلى اللحظة التي رن فيها هاتفه..

رد أسامة على الاتصال بضيق:

- هذا أنت سوار؟ لِمَ تتصل بي في هذا التوقيت؟

سوار باستخفاف:

- لو لم أكن في حاجة إلى خدماتك لما اتصلت سيد أسامة..

ثم أردف بحماس:

- أخبرني أسامة.. هل يمكنك أن تؤمن لي تذكرتين لحضور فيلم السهرة في سينما العاصمة؟ أريد حضوره أنا وإيلينا..

أسامة وهو يضحك:

- يمكنني تأمين ثلاث تذاكر.. لأنني لن أفوت السهرة رفقتك يا صديقي..

سوار بضيق:

- كنت أعلم أنك لن تفوت السهرة رفقتي يا صديقي..

وضع أسامة هاتفه جانبا ثم التفت لسالي وخاطبها:

- لنعد إلى موضوعنا سالي..

واصلت سالي تحليلها للقضية فيما كان أسامة يحدق بها وهو يفكر في أمر مختلف، قاطعها قائلا:

- ما رأيك أن ترافقيني إلى السينما الليلة سالي؟

حدقت به سالي وهي تفتح عينيها وتغلقهما مستغربة عرضه ذاك، ردت مستفسرة:

- أنا أرافقك أنت؟

عاد أسامة لمخاطبتها وهو يتنحنح:

- حسن صديقي سوار سيحضر الفيلم مع رفيقته، لذا فكرت أن تكوني رفيقتي الليلة..

ثم أضاف بضيق:

- ماذا قلتِ سالي؟

ردت سالي باستسلام:

- حسن.. لا مانع لدي..

في المساء كان أسامة يجلس مع سالي على طاولة في الهواء الطلق منتظرين إقبال سوار ورفيقته..

سالي بضيق:

- لقد تأخر صديقك.. كنت أعلم أنه ليس من الأشخاص الذين يحترمون مواعيدهم..

أسامة بنرفزة:

- سالي.. لا تتكلمي عن سوار بهذه الطريقة..

وقتها التفتا على صوت سوار يخاطبهما:

- واضح أننا تأخرنا..

التفت أسامة إلى صديقه عند سماعه لصوته، ليقف مكانه منبهرا بجمال الفتاة التي تتأبط ذراعه، خاطب سوار بذهول:

- يا لك من محظوظ يا صديقي..

سوار بنرفزة:

- احترم نفسك أسامة..

ثم أضاف بزهو:

- أعرفكما.. هذه إيلينا ألفاريس.. شريكتي حاليا وخطيبتي مستقبلا..

ثم أردف قبل أن ينطق كل من أسامة وسالي:

- وأحذركما أن تتكلما أمامها باللغة العربية.. لأنها ستنزعج..

إيلينا محدقة بسوار وهي تضحك:

- هكذا ستخيفهما مني يا سوار..

كانت سالي وقتها ستنفجر من الغيظ وهي تتابع نظرات أسامة لإيلينا، تلك النظرات التي حاول جاهدا إخفاءها عن صديقه..

وهكذا عرف سوار الجميع على بعض وجلسوا معا في انتظار بداية العرض السينيمائي الذي لم يتأخر..

وبعد ساعتين ونصف من العرض المستمر للفليم خرج الرباعي من قاعة العرض وهم يعبرون عن إعجابهم بقصة الفيلم، وأداء الممثلين..

سوار مبتسما وهو يحدق بإيلينا:

- هل أعجبك الفيلم عزيزتي؟

إيلينا بهدوء:

- بلى.. كان فيلما مميزا..

قاطعتها سالي وهي تقول بهيام:

- خصوصا أداء البطل.. كان لا يوصف..

حدق بها وأسامة ثم رد عليها بحنق:

- عن أي أداء تتكلمين يا سالي؟ كل ما يفعله الممثلون أنهم يكذبون والجمهور الساذج يصدق أكاذيبهم..

وقتها ابتسمت له إيلينا ثم ردت بهدوء:

- لكن التمثيل شيء والكذب شيء سيد أسامة..

حدق بها أسامة وقد تاه في ملامحها للحظات استفاق منها سريعا وهو يلاحظ تعابير وجه سوار الغاضبة، سألها مستفسرا:

- وما الفرق بينهما آنسة إيلينا؟

وقتها أخذت إيلينا زمام الحديث واسترسلت كمحترفة في ميدان التمثيل:

- الكذب يكون في وجه من الأوجه، أي عندما نريد إخفاء أمر محدد دون غيره أو تجميله في عيون الآخرين.. بمعنى أننا عندما نكذب نبقى بنفس شخصيتنا السابقة ولا نغير فيها شيئا سوى ما نحاول أن لا نبديه لمن حولنا والجميع تضطره الظروف أحيانا لفعل ذلك.. هذا هو الكذب في نظري..

ثم أضافت وهي تحدق بوجوه الثلاثة المصغين إليها:

- أما عندما نمثل فنقوم بإلغاء شخصيتنا كاملة بجميع معالمها ونستبدلها بشخصية لا تمت لها بصلة، فتختلف طريقة التفكير وأسلوب التصرف.. حتى المشاعر تتبلد تماما.. وهذا ما يفعله الممثلون عندما يلعبون أدوارا بعيدة جدا عن شخصياتهم الحقيقة..

خاطبتها سالي بإعجاب:

- هذا صحيح إيلينا.. وهذا ما فعله الممثل الرئيسي.. في كل مرة أراه بشخصية مختلفة عن سابقتها..

ابتسمت لها إيلينا ثم عادت للتحديق بالشابين بقربها وهي تعقب:

- هذا لأن الرجال أكثر براعة في هذا المجال..

وقتها صمت الجميع وقد أحسوا أنها تلمح لأمر ما، لكنها أضافت وهي تضحك:

- أنا أمزح يا جماعة..

ابتسم لها سوار وهو يعلق:

- حتى وإن كان الرجال أكثر براعة في التلون بين الأدوار.. إلا أن أنجح ممثلي العالم كنّ نساء.. وهذا واقع..

ثم صمت وهو يصغي لتعقيب إيلينا الهادئ:

- أجل هذا صحيح.. لكن الممثلة لا تصل إلى قمة النجاح إلا إن كانت قد تلقت دروسها على يد أبرع الرجال ..

ثم أضافت وهي تحدق بسوار بنظرات ذات معنى:

- ولابد وأنها دفعت ثمن تلك الدروس باهظا جدا.. فوق ما تتخيلون..

بانتهاء السهرة أوصل سوار إيلينا إلى شقتها وودعها ثم عاد إلى فيلا الأنصاري، جلس في الصالة ممسكا بهاتفه، كان يحاول أن يتصل بعمته على أمل أن ترد عليه هذه المرة، وهذا ما حصل، فبعد عدد من المحاولات جاء الرد البارد من عمته ثريا:

- ماذا تريد سوار؟ لِمَ كل هذا الإزعاج؟

سوار وهو يضحك:

- أصبحت مزعجا في نظرك الآن؟ ظننتك كنت تعاتبني إن نسيت أن أتصل بك ليوم واحد..

العمة ثريا وهي تعدل وضعيتها على سريرها:

- تعلم جيدا أني منزعجة مما فعلته مع نهلة ووالدها..

سوار مبتسما:

- انسي أمر تلك المتملقة ووالدها.. أريد أن أخبرك بأسعد خبر في حياتي..

العمة ثريا بانصات:

- أي خبر؟

سوار بهيام:

- أنا مغرم عمتي..

العمة ثريا وهي تنتفض من مكانها:

- مغرم؟ لهذا السبب فسخت خطبتك إذن؟ أكاد أجزم أنها فتاة لا أصل لها ولا فصل..

سوار ضاحكا:

- أنت مخطئة أمي.. إنها إيلينا ألفاريس وحيدة رجل الأعمال المكسيكي إمانويل ألفارس..

عادت العمة ثريا للجلوس بهدوء وهي تقول:

- تقصد شريكك الجديد؟

سوار بغبطة:

- في حقيقة الأمر.. هي شريكتي الجديدة..

تنحنحت العمة ثريا وقد شعرت بالرضا، خاطبت سوار بنبرة جادة:

- حسن عندما أتعرف عليها شخصيا سأخبرك برأيي..

خاطبها سوار بسعادة:

- وهي طلبت ذلك بنفسها.. لذا كوني في انتظار زوجة ابنك المستقبلية الأسبوع القادم..

الفصل الحادي والعشرين

صعد سوار درجات السلالم، دلف إلى غرفته ورمى سترته جانبا، حدق بمفكرته للحظات، كانت أول مرة يخاف فيها أن يفتحها لكي لا يتفاجأ بفاجعة جديدة لكن فضوله كان يدفعه لمعرفة المزيد عن ماضيه المفقود، حملها بين يديه واسترسل في القراءة:

البلدة قبل سنة وبضعة أيام

مرت ثلاثة أسابيع على تلك الحادثة المؤلمة تغيرت خلالها معاملة سوار لشقيقه ساري الذي أصبح يتحاشى اللقاء به قدر استطاعته، وقتها لاحظ والدا ليلى اعتزالها ومكوثها الدائم بغرفتها، لم يحاولا فهم سبب ذلك، في تلك الفترة لم تتركها ريهانا ولو للحظة بمفردها خوفا عليها من أن تنهار عصبيا أو تصاب بحالة اكتئاب..

في ذلك اليوم نزل سوار من غرفته بعد أن استيقظ مبكرا على غير عادته، نزل إلى الصالة التي كانت خالية، أراد الخروج لاستنشاق بعض الهواء لكنه توقف فجأة وهو ينصت لبعض

الأصوات في غرفة المكتب، تقدم نحوها ليسمع صوت عمته ثريا تخاطب أحدهم، أراد أن يلقي التحية عليها لكنه توقف مكانه بعد أن سمعها تخاطب من معها بالداخل:

- لا أريدكما أن تذكرا الموضوع أمام سوار.. فهمتما؟

تلك العبارة التي جعلته يتوجس ويقرر الإنصات لما يحصل بالداخل..

داخل المكتب قامت العمة ثريا عن مقعدها تحدق بساري والسيد محمود وتضيف:

- يبدو أن سوار أصبح متعاطفا مع تلك الدخيلة ..

ثم أضافت بلهجة متهكمة:

- بدل أن يسحرها كما يفعل مع الفتيات عادة.. سحرته هي..

اقترب منها السيد محمود وهو يقول بعدم فهم:

- ما المطلوب منا بالتحديد ثريا؟

العمة ثريا بنبرة حازمة:

- سنرغمها على التنازل عن كل شيء والرحيل من هنا..

ساري مستفسرا:

- لكن كيف؟

العمة ثريا وهي تلتف خلفها وتضيف:

- الأمر ببساطة أننا سنحتجزها في مكان ما من البلدة ونهددها..

ثم التفتت للرجلين وهي تواصل بحدة:

- أن توقع أو تخسر حياتها..

ما أن أنهت العمة ثريا جملتها تلك حتى تفاجأت بدخول سوار العاصف، حدق بها بنظرات حادة ثم خاطبها بملامة:

- أصبحت لا تثقين بي إذن يا أمي؟

ردت عليه العمة ثريا وقد تفاجأت بدخوله:

- الأمر ليس كذلك.. لكنني خفت أن تتعاطف معها ولدي..

اقترب منها سوار خطوات، ثم عقب بحدة:

- ومن قال لك أنني لن أوافق أمي؟ أنا أنتظر تلك اللحظة.. أنا أيضا أريد أن أحظى بنصيب من ممتلكات عمي..

اقتربت منه العمة ثريا ثم ربتت على كتفيه وهي تقول:

- هذا يعني أنك معنا عزيزي..

ابتسم لها سوار ثم خاطبها:

- ومتى سيحصل ذلك أمي؟

ابتعدت العمة ثريا عنه وعادت للتحديق بكل من ساري ومحمود مسترسلة في شرح خطتها:

- بعد أسبوعين بالتحديد سنقيم احتفالنا السنوي بعيد الحصاد.. وريهانا تلك ستكون نجمة الحفل طبعا

- كونها تمتلك نصف مزارع آل الأنصاري.. وقتها سنوهم الجميع بأنها قد حجزت لرحلة إلى مومباي لإنهاء بعض الأمور العالقة ..

ثم التفتت لسوار وهي تواصل:

- بعد انتهاء الاحتفال ومع الفجر ستكون ريهانا قد اختفت من القصر.. ولا أحد سيعلم بمكانها عدانا نحن الأربعة..

* * *

كان سوار يتلو تلك الكلمات بانتباه وتركيز شديدين غير مصدق أنه شارك في تلك الجريمة، قلب الصفحة ليعرف ماذا حصل بعدها لكنه تفاجأ بأن كل الصفحات الموالية فارغة..

خاطب نفسه وهو يبتلع ريقه:

- هذا كل شيء؟ لكن ماذا حصل لريهانا بعدها؟

وقضى سوار ليلته تلك يتقلب على سريره وباله مشغول بما حصل فيما بعد..

في اليوم التالي استفاق سوار متأخرا بسبب طول سهره، أول ما فعله أنه اتصل بإيلينا ليخبرها بأنه اتفق مع عمته على أن يعرفها بالعائلة بعد أسبوع من اليوم بالضبط..

ثم عاد للاتصال بصديقه أسامة ليخبره بأنه قادم لزيارته بعد ساعتين ..

وصل سوار سكن الضباط وطلب الإذن بالدخول مقابلة أسامة، رافقه أحد الحرس إلى الغرفة المطلوبة ليجد صديقه في انتظاره، دلف إلى الغرفة وجال ببصره في المكان الضيق، خاطب أسامة مبتسما:

- إذن هذا هو عالمك الخاص صديقي..

ابتسم له أسامة فيما اتجه إلى طاولة بالزاوية وتناول إبريق القهوة الساخنة وسكب منه القليل وهو يجيب:

- أجل.. هذا المكان الوحيد الذي أشعر فيه بالارتياح..

ثم حمل كوبي القهوة وقدم أحدهما لسوار وهو يشير عليه بالجلوس على المقعد مضيفا:

- لم تخبرني بعد.. ما سبب هذه الزيارة السعيدة صديقي؟

جلس سوار على المقعد ثم حدق بأسامة وهو يقول بجدية:

- ريهانا الأنصاري.. هل سمعت هذا الاسم من قبل يا أسامة؟

أنصت أسامة لذلك السؤال المباغت، ارتمى بهدوء على طرف سريره وهو يرد مستغربا:

- بلى.. إنها ابنة عمك المرحومة..

على وقع كلمات أسامة ترك سوار فنجان قهوته على الطاولة وقام وقد علت وجهه علامات الدهشة، خاطب صديقه بنبرة غير مصدقة:

- المرحومة؟ تقصد أن ريهانا ماتت؟ لكن كيف؟

قام أسامة عن سريره واقترب من صديقه وهو يراه في حالته تلك من عدم التصديق، ربت على كتفه وهو يقول بارتباك:

- ألم تكن تعلم؟ أنا آسف صديقي ظننتهم أخبروك بالموضوع..

عاد سوار للتحديق بأسامة وهو يقول برهبة:

- أخبرني بما تعلمه عن الموضوع أسامة أرجوك..

أسامة بارتباك:

- أنا لا أعلم الكثير..

ثم أضاف وهو يتذكر آخر مكالمة له مع صديقه قبل الحادثة التي حصلت معه:

- كل ما أذكره أنك وقبل سنة تقريبا اتصلت بي بشكل مفاجئ بعد منتصف الليل وطلبت مني حجز تذكرتي سفر بالطائرة على رحلة لأي مكان في العالم.. وقتها لم يكن يهمك سوى أن تكون الرحلة بعد ثلاثة ساعات من توقيت اتصالك على الأكثر..

خاطبه سوار وهو يزدرد ريقه:

- لكن لِمَ طلبت منك هذا الطلب الغريب؟

أسامة وهو يلتفت إلى الخلف ويتقدم خطوات:

- حسن.. أنا أيضا سألتك هذا السؤال لكنك أخبرتني أنه لم يعد أمامك وقت، كل ما فهمته منك أن ابنة عمك قد تعرضت للاختطاف وأنك في طريقك لإنقاذها.. وتريد إخراجها من البلد لحمايتها..

ثم أضاف وهو يلتفت نحو سوار:

- وقتها ظننتك تتكلم عن الآنسة ليلى الأنصاري لأنه لم يكن لدي علم بأن لديك ابنة عم أخرى..

تقدم سوار باتجاه أسامة وهو يتساءل مترقبا:

- وماذا حصل بعدها أسامة؟

أسامة بهدوء:

- فعلت ما طلبته مني.. حجزت تذكرتين إلى مدريد وانتظرت وصولك إلى المطار حتى الصباح.. وعندما لم تأتِ اتصلت بالمزرعة وعلمت بأمر الحادث الذي حصل معكما..

هزّ سوار رأسه يحث أسامة على قول المزيد، خاطبه مجددا:

- لنا؟ تقصد أن ريهانا قد ماتت في الحادث الذي أصبت فيه أنا؟

حدق أسامة بسوار وهو يرى عينيه المغرقتين بالدموع، خاطبه بهدوء:

- بلى.. انقلبت بكما السيارة على بعد أمتار من جسر البلدة، والتحقيقات كشفت أن سبب الحادث عطل في المكابح..ثم واصل وهو يضيق عينيه:

- الغريب في الموضوع أنك عندما اتصلت بي كنت تقود سيارتك، وأخبرتني أنك على طريق المزارع، وتلك الطريقة وعرة كما تعلم.. ومع ذلك كنت تسوق السيارة بلا مشاكل ..

سوار بتركيز:

- ماذا تقصد من كلامك أسامة؟

ارتمى أسامة على سريره مجددا وهو يتكلم كما يفعل أثناء قيامه بالتحقيقات:

- أقصد أن عطل المكابح الذي حصل في سيارتك حدث بعد المكالمة التي حصلت بيننا..

ثم أضاف وهو يحدق بسوار ويقول بثقة:

- أعني أن أحدهم دخل السيارة في الفترة التي تركتها أنت فيها ونزلت لتحضر ريهانا ثم عدتما إليها مجددا.. ذلك الشخص يا صديقي عبث بمكابح سيارتك لأنه أراد التخلص منكما..

أنصت سوار لكلمات أسامة جيدا، وهو يردف مخاطبا نفسه:

- أو لعل قصة المكابح مجرد كذبة دُفع ثمنها لإبعاد الشبهات عني..

قام أسامة عن فراشه واتجه نحو سوار، خاطبه حين رآه قد شرد:

- سوار.. هل أنت بخير يا صديقي؟

أفاق سوار من شروده، التفت لأسامة وهو يقول بنبرة جادة:

- أعتقد أن الأمر أعقد بكثير من تفسيرك أسامة..

ثم التفت خلفه واتجه نحو باب الغرفة يريد الخروج، خاطبه أسامة مستدركا:

- إلى أين سوار؟

التفت سوار باتجاه أسامة، ورد عليه:

- سأنهي بعض الأمور وأعود إلى تل العاج.. علي أن أعلم السر الذي يخفيه الجميع عني..

ثم غادر وهو يواصل:

- شكرا لك أسامة..

الفصل الثاني والعشرون

في اليوم التالي دخل سوار الشركة واستقل المصعد دون أن يكلم أحدا، اتجه مباشرة نحو مكتب إيلينا، دق الباب ثم دلف إليه ليجدها في استقباله بابتسامتها العذبة تلك، اقترب منها بخطوات سريعة، أمسك كفيها وخاطبها بمحبة:

- صباح الخير حبيبتي..

حدقت به إيلينا بنظراتها الناعسة التي أسرته، ردت بخجل:

- صباح النور سوار..

تقدم سوار بإيلينا نحو إحدى الأرائك، جلسا معا فيما كان لا يزال ممسكا كفيها، خاطبها ببعض الإحراج:

- إيلينا.. أريد أن أقول لك شيئا لكنني لا أريدك أن تغضبي مني..

أيلينا بتوجس:

- ماذا هناك سوار؟ لا تبدو على ما يرام..

سوار وهو يترك كفيها:

- أريد العودة إلى البلدة في الغد.. هناك أمر علي التأكد منه لا يحتمل التأجيل..

وواصل وهو يحدق بها بنظرات متوددة:

- لكنني سأعود قبل يوم الخميس لآخذك والسيد إمانويل معي لتتعرفا على أسرتي..

ابتسمت له إيلينا بنفس براءتها المعهودة:

- هل هذا ما اعتقدت أنه سيزعجني؟

وأردفت وقد لمعت عيناها:

- كنت سأقترح عليك أن تسبقني إلى هناك لتهيء الجو وتشرح الموضوع للجميع، وألحقك أنا في اليوم الموعود..

سوار باستغراب:

- تقصدين أن لا أعود من أجل أخذك معي؟

إيلينا مبتسمة:

- لا.. حسن.. أنا أريد أن أجهز نفسي، أريد أن أبدو في منظر لائق أمام أسرتك سوار..

ثم أضافت بإحراج:

- ثم أنا قررت أن أفاجئك بمنظري الجديد..

دنا منها سوار أكثر وهمس في أذنها ليزيد من خجلها:

- أنت لست في حاجة لتغيير مظهرك.. لأنك بشكلك هذا ستأسرين قلوب الجميع كما أسرت قلبي..

ابتعدت إيلينا عن سوار قليلا، حاولت التهرب من غزله ونظراته لها، خاطبته بجدية:

- بالنسبة لوالدي سوار.. فأنا أعتذر منك.. لن يكون موجودا في البلاد يوم الخميس..

سوار بتعجب:

- تقصدين أنه لن يحضر حفل الاستقبال الذي سأعده على شرفكما؟

إيلينا بحزن:

- للأسف لن يكون بمقدوره الحضور.. لديه بعض الأمور العالقة في أمريكا لا يمكن تأجيلها ..

ثم أضافت بتودد:

- وأريد أن أطلب منك أمرا.. أتمنى أن تلبيه لي سوار..

سوار مبتسما:

- طلبك مجاب قبل أن أسمعه عزيزتي..

إيلينا بنبرة حزينة:

- لا أريدك أن تقيم حفلا من أجلي.. أنا لا أرتاح في الأجواء التي أحس فيها بأنني غريبة..

ثم رفعت رأسها لتحدق به:

- فهمتني سوار؟

ابتسم لها سوار وهو يرد بمحبة:

- فهمتك إيلينا.. سيقتصر الحفل على عائلة الأنصاري فقط..

في مركز الشرطة أنهى أسامة التحقيق مع أحد المتهمين، قام من مكانه واتجه إلى الأريكة حيث تجلس سالي، سحب دفترها من يدها ليقرأ الملاحظات التي دونتها ليتفاجأ بالخربشات الموجودة على الصفحة، كلمها بضيق:

- هل هذا ما كنت تفعلينه سالي؟

انتظر ردها الذي لم يأتِ، حدق بها ليجدها سارحة في مكان آخر، رفع الدفتر وضرب رأسها به لتنتبه له أخيرا..

سالي بهلع:

- ما بك أسامة؟ هل تريد شيئا؟

أسامة بنرفزة:

- أريد شيئا؟ أنا أتكلم معك وأنت لا تردين..

سالي بتودد:

- أعتذر منك أسامة.. كنت أفكر في موضوع إيلينا تلك..

أسامة وهو يطلق نفسا عميقا:

- وماذا بشأنها؟

حدقت سالي بأسامة ثم سألته بتوجس:

- ألم تحس بأن تلك الشابة غريبة؟ هدوؤها، نظراتها، طريقة كلامها...

أسامة باستسلام:

- طبعا لاحظت.. الفتاة أجنبية فكيف تريدينها أن تبدو مثلنا؟ ثم لكنتها الغريبة تلك سببها أنها في الأصل مكسيكية وليست أمريكية..

حدقت به سالي ثم قالت بنرفزة:

- وهذا ما أريد أن أصل إليه.. لم أحس بأنها كانت تتصرف بطبيعية معنا، بل شعرت بأنها كانت تقوم بـ...

قاطعها أسامة منهيا جملتها:

- بالكذب علينا مثلا؟

ابتسمت له سالي وهي ترد:

- لا.. بل بالتمثيل علينا.. أحسست تلك الليلة أنني أتابع أحد المشاهد السينيمائية لممثلة عربية تقوم بدور شابة غربية..

ثم أضافت بزهو:

- الفتاة تخفي شيئا.. حسي البوليسي جعلني أراقب كل تحركاتها..

خاطبها أسامة باستخفاف:

- حسك البوليسي أم فضول النساء من جعلك تفعلين ذلك؟

ثم أضاف وهو يقوم:

- على كل أمر الفتاة لا يعنينا، سوار سعيد إلى جوارها وهذا هو المهم..

وواصل وهو يحدق بها مبتسما:

- وآخر هذا الأسبوع بالتحديد سيقوم بتعريفها على أسرته..

اقتربت منه سالي وهي تضيف مستفسرة:

- هي شريكته كما فهمت من كلامه.. أذكر أنك أخبرتني من قبل أنه سيعقد شراكة مع رجل أعمال وليس مع امرأة..

رد عليها أسامة بهدوء:

- أجل.. ورجل الأعمال ذاك يكون والد إيلينا.. السيد إيمانويل ألفاريس..

وواصل وهو يبتعد:

- أظن السيد ألفاريس فضل أن يوكل تلك الشراكة لابنته لأنه لا يملك الوقت..

والتفت إليها وهو يواصل الكلام:

- حتى أن سوار أخبرني أن حماه المستقبلي لن يحضر حفل التعارف بسبب اضطراره للسفر إلى أمريكا من أجل صفقة هامة ..

ثم أنهى كلامه وهو يبتسم:

- إنهم الغرب عزيزتي.. الوقت عندهم من ذهب..

أنصتت سالي لكلمات أسامة جيدا، خاطبت نفسها بعدم اقتناع:

- يسافر إلى أمريكا من أجل صفقة ولا يحضر أهم يوم في حياة وحيدته؟ الأمر أكبر من هذا أسامة.. وأنا سأتحقق من الموضوع بنفسي..

في البلدة

ودع سوار كلا من إيلينا والسيد إيمانويل صبيحة ذلك اليوم واستقل سيارته نحو وجهته؛ تل العاج.. لم يكن يشغل تفكيره طول الطريق سوى الأحداث التي تعاقبت في الفترة التي مسحت من ذاكرته، كلم نفسه وهو يطلق نفسا عميقا:

- الدكتور أسعد كان محقا.. تلك الذكريات كانت صعبة إلى درجة لا تصدق..

ثم أردف بترقب:

- وأعتقد أن ما حصل بعدها كان السبب في تدمير ذاكرتي..

أخيرا اجتازت سيارة سوار جسر العاج وأصبح وسط البلدة، تقدم بها نحو القصر ، اجتاز الحديقة إلى أن توقف وهو يحدق بالعمة ثريا التي قامت لاستقباله وعلى وجهها ابتسامة هادئة..

ترجل عن سيارته والتفت نحو عمته التي ما أن اقتربت منه حتى ضمته بقوة إلى صدرها وهي تقول بحنين:

- ولدي.. كم اشتقت لك..

وظلت على تلك الوضعية فترة إلى أن لاحظت برود سوار على غير ما اعتادته منه، رفعت رأسها لتحدق به وهي تقول بتوجس:

- ما بك سوار؟ ألم تشتق لوالدتك؟

ابتسم لها سوار باقتضاب وهو يخاطبها:

- بلى اشتقت إليك طبعا..

ثم ابتعد عنها قليلا وهو يضيف:

- كل ما في الأمر أنني مرهق من الرحلة قليلا..

ابتسمت له العمة ثريا وهي ترد:

- لا عليك ولدي.. اصعد إلى غرفتك وارتح قليلا..

وهذا ما فعله فعلا، حمل حقيبة وثائقه وصعد إلى غرفته التي أغلقها عليه فور دخوله.. جال ببصره فيها وهو يقول:

- هل يعقل أن أجد هنا شيئا يفيدني؟

الفصل الثالث والعشرون

إنه يوم الأربعاء، اليوم الذي يسبق حفل الاستقبال الذي أعده سوار من أجل إيلينا..
كان سوار قد حكى للجميع عن خطيبته المنتظرة التي أعجبوا بها قبل أن يروها، وقتها كانت العمة ثريا قد اتصلت بساري ليحضر حفل التعارف، معتقدة أنها ستكون فرصة جيدة ليعود الوفاق بين الشقيقين خاصة وأن سوار لم يعد يذكر تلك الحادثة المشؤومة، حاولت ليلى أن لا تبدي قلقها من قدوم ساري لأنها تعلم جيدا أنه سيظل يتحين الفرصة من أجل إهانتها وإذلالها، لكن خوفها كان يزيد باقتراب موعد قدومه الذي سيكون صبيحة يوم الخميس..

في العاصمة

دلفت سالي المكتب الذي فتحه لها العسكري بعد أن أخبرها بأن الضابط أسامة قد خرج في مهمة ولن يعود إلا مع الظهر..

تقدمت نحو مكتبه وجلست على كرسيه، ودون تردد رفعت غطاء جهاز الكومبيوتر الموضوع على الطاولة وقد صممت مسبقا على أن تقوم بالتحقيق في أول قضية في حياتها، تلك القضية التي لا يعلم بها سواها..

حركت أصابعها على لوحة المفاتيح لتفتح صحفة لأحد محركات البحث، ثم ضغطت الحروف تباعا باللغة الانجليزية وهي تردد:

- إيمانويل ألفاريس.. لنرى ما الذي ستقوله مواقع سوق المال والأعمال في العالم عنك..

وهكذا ظهرت أمامها العديد من الشخصيات التي تحمل نفس الاسم، إلى أن وقعت على المعلومة الأقرب إلى بحثها: إيمانويل ألفاريس، سبع وخمسون عاما.. مستثمر أمريكي الجنسية مكسيكي الأصل..

وقتها هتفت سالي وهي تصفق بيديها:

- هذا هو..

ثم انهمكت في البحث عن معلومات حوله: مشاريعه، استثماراته، ثروته، وحتى حياته الشخصية..

في البلدة

صبيحة ذلك اليوم لم يخرج سوار من غرفته، كان يجلس إلى مكتبه ممسكا بالمفكرة وعيناه معلقتان على آخر سطر من الصفحة الأولى، يتلوه مرارا وتكرار:

- ولا أظن أنه سيتسنى لك الوقت لتقرئيها لأنه لم يعد أمامك ما يكفي لتفهمي ما أقصده..

أطلق نفسا عميقا وهو يقلب الصفحة ويحدق بالأجزاء المتبقية من الصفحة المفقودة وهو يقول:

- ترى ماذا كتبت بعدها؟

وأردف متسائلا:

- هل أنا من قام بتمزيق الصفحة الثانية.. أم شخص غيري؟

ثم أغلق المفكرة عندما سما طرقا على باب غرفته، هتف للطارق:

- تفضل..

ليتفاجأ بدخول ليلى تخطو نحوه خطوات خجولة، خاطبته بارتباك:

- سوار.. هل يمكنني الكلام معك في موضوع خاص؟

رد عليها سوار مبديا موافقته:

- بلى ليلى.. تكلمي..

أغلقت ليلى باب الغرفة وتقدمت نحو سوار وجلست مقابله وهي تقول بارتباك:

- أعلم أنك لن تفهم ما سأقوله لك.. لكنني أريد مغادرة القصر..

حدق بها سوار مطولا ثم سألها بهدوء:

- هل أنت خائفة من ساري يا ليلى؟

رفعت ليلى وجهها ووجهت نظراتها المندهشة نحوه، خاطبته بارتباك:

- هل تذكر ما حصل سوار؟

سوار وهو يقوم:

- كلا ليلى لا أذكر شيئا.. لكنني على علم بما فعله شقيقي معك..

ثم التفت لها وأردف مبتسما:

- لا تقلقي ليلى.. أنا سأحميك من ساري..

ثم تقدم منها وهو يمد يديه إلى كتفيها، ساعدها على القيام برفق، وواصل كلامه:

- لكنني أريدك أن تكوني قوية ولا تسمحي له بإهانتك..

ابتسمت له ليلى وهي ترد:

- هل تعلم سوار.. كلماتك تذكرني بما كانت تقوله لي...

ثم صمتت فجأة ليواصل سوار بهدوء:

- بما كانت تقوله لك ريهانا.. ليلى أنا أصبحت أعلم الكثير مما حصل قبل الحادث..

وأضاف:

- وأرغب بمعرفة المزيد..

أرادت ليلى مغادرة الغرفة بعد أن تغيرت لهجة سوار في الكلام، استدارت باتجاه الباب لكن عيناها وقعتا على المفكرة الموضوعة على الطاولة حيث كانت تجلس، خاطبت سوار متسائلة:

- أذكر هذه المفكرة جيدا.. لقد رأيتها بيد ساري مرة..

اقترب سوار من ليلى وقد شعر بأنها يمكن أن تفيده ببعض المعلومات التي يجهلها، حدق بها وهو يقول بلهفة:

- رأيتها بيد ساري؟ متى كان ذلك؟ أرجوكِ ليلى أريدك أن تخبريني بالتفاصيل..

حدقت ليلى بسوار ثم كلمته بهدوء:

- كان ذلك يوم عيد الحصاد..

واستغرقت في استرجاع شريط ذكرياتها..

البلدة قبل سنة

أبعدت ريهانا الفرشة ووقفت باعتدال تحدق بإنجازها المبهر، أطلقت تصفيرة وهي تقول:

- يمكنك أن تفتحي عينيك عزيزتي..

فتحت ليلى عينيها لتقعا على انعكاس صورتها على المرآة، فغرت ثغرها مندهشة مما فعلته ريهانا بها، قامت من مكانها ولفت حول نفسها، ثم عادت لتحدق بشكلها الجديد وتقول بعدم تصديق:

- هذه أنا فعلا؟ لقد جعلتِ مني فتاة أخرى ريهانا..

اقتربت منها ريهانا ثم كلمتها مبتسمة:

- أنا لم أفعل شيئا ليلى.. أنت بالفعل فتاة جميلة..

ثم أضافت وهي تبتعد:

- لننزل.. الحفل انطلق منذ زمن..

وقفت ليلى تحدق بريهانا بارتباك:

- لكن.. كيف سأستطيع النظر في وجه ساري بعد ما حصل بيننا..

عادت ريهانا لتلتفت باتجاه ليلى وهي ترد بتحد:

- هو بالتحديد يجب أن يراكِ.. ليعلم بأنه أضاع من بين يديه كنزا لا يقدر بثمن..

وهكذا خرجتا من غرفة ريهانا وتقدمتا خطوات لتتوقفا أمام سوار الذي كان خارجا هو الآخر من غرفته وهو يعدل ربطة عنقه، انتبه رغما عنه لأناقة وجمال ليلى التي لم تخرج من غرفتها منذ يوم الحادث، حدق بها منبهرا بشكلها الجديد، خاطبها وهو يطلق تصفيرة عالية:

- واو.. من تكون الجميلة الصغيرة؟

أطرقت ليلى رأسها بخجل فيما ردت ريهانا بزهو:

- طبعا تفاجأت سيد سوار.. الشباب كلهم هكذا.. لا ينتبهون للجمال الحقيقي..

ثم أضافت بتهكم:

- تغرهم المظاهر البراقة..

دنا منها سوار ثم غمز لها وهو يبتسم:

- هذا صحيح عزيزتي..

وواصل وهو يلف حولها:

- وأعتذر مسبقا إن كان ما سأقوله سيزعجك.. لكنك اليوم في غاية الجاذبية ريهانا..

شبكت ريهانا ذراعيها إلى صدرها وهي ترد بثقة:

- أعلم..

وواصلت:

- لننزل.. أظننا تأخرنا..

نزل الثلاثة السلالم لكنهم توقفوا بعد سماعهم رنين هاتف ريهانا، حملته وقد علت وجهها ابتسامة مشرقة، خاطبت المتصل بسعادة:

- عمي ! سعيدة بسماع صوتك..

لكن سرعان ما تبدلت تلك الملامح إلى خوف وهو تضيف بترقب:

- إيلي في المستشفى! يا إلهي.. لِمَ لم تخبرني من الأمس؟

أنصت كل من سوار وليلى لتلك المكالمة التي كان من الواضح أنها قلبت مزاج ريهانا.. وما أن أغلقت الخط حتى اتجهت نحوها ليلى وهي تقول بترقب:

- إيلي هي صديقتك صحيح ريهانا؟

أجابتها ريهانا فيما كانت تطأطئ رأسها بحزن:

- إنها أكثر من شقيقة بالنسبة لي.. هي أكثر شخص أحبه في هذا العالم..

ثم أضافت وقد لمعت دمعة في عينها:

- المسكينة مصابة بقصور في وظائف القلب.. وهي الآن في المستشفى.. ستخضع بعد ساعات إلى عملية دقيقة..

اقترب منها سوار، مد يده ليرفع رأسها، ابتسم لها مطمئننا:

- ستكون بخير ريهانا.. أنا متأكد..

تلك الكلمات التي جعلت ريهانا تحاول أن تبتسم متشبثة بالأمل في نجاح العملية..

من ثمة اتجه الثلاثة نحو حديقة القصر التي ضمت وككل عام حفل عيد الحصاد، وقفوا للحظات يدردشون معا..

لقد كانت المرة الأولى التي شعر فيها سوار بأن ريهانا مرتاحة في الكلام معه، وهي الأخرى تغيرت نظرتها له نسبيا بعد موقفه مع شقيقه وقراره الحازم بأن يغادر البلاد، أدركت أنه رغم كل شيء كان شهما للغاية ويستحق التقدير..

ظل الثلاثة يتكلمون إلى أن لمع البرق ليتلوه صوت الرعد المرعب الذي أفزع ريهانا وجعلها ترتمي في حضن سوار محتمية به دون أن تحس بنفسها، لم تنتبه لما فعلته إلى بعد أن شعرت بساعديه يضمانها بقوة، وقتها دفعته عنها وابتعدت وهي تقول بإحراج:

- أنا آسفة سوار لم أقصد.. لقد أخافني صوت الرعد..

ضحك سوار من ارتباك ريهانا للحظات، خاطبها وهو يغمز لها:

- إن كان صوته سيجعلك تحتمين بحضني فأتمنى أن لا يتوقف مطلقا..

حدقت به ريهانا وقد اختلط إحراجها بغيظها، ردت بحنق:

- رغم كل شيء.. لا تزال وقحا..

وابتعدت عنه عندما لمحت زياد يقف غير بعيد منهم محدقا بها..

في ذلك الوقت استأذنت ليلى لتعود إلى غرفتها وتحضر وشاحا لأن حالة الطقس بدأت تتبدل..

دلفت ليلى القصر وصعدت السلالم، دخلت غرفتها وخرجت منها وهي تلف نفسها بوشاح قطني، أرادت نزول الدرج لكنها انتبهت إلى باب غرفة سوار المفتوح رغم أنها كانت متأكدة من أن سوار أغلقه أمامها قبل أن ينزل.. اقترب أكثر وجالت بعينيها داخل الغرفة لتنتبه إلى وقوف

ساري عند مكتب سوار، كان يمسك هاتف شقيقه المحمول ويعبث به، ظلت تراقب ما يفعله إلى أن رأته يضع الهاتف ويمسك بدفتر أسود اللون، فتحه على الصفحة الأولى وتلا ما فيها ثم قال باستخفاف:

- لم أكن أعلم أنك تكتب مذكراتك يا سوار..

***

أنهت ليلى سرد ما حصل ليلتها وهي تعقب:

- ثم نزلت الدرج بسرعة خوفا من أن يراني..

وقتها كلم سوار نفسه بصوت مسموع يحمل نبرة مشبعة بالدهشة:

- هذا يعني أن ساري من مزق تلك الصفحة من المفكرة..

الفصل الرابع والعشرون

في العاصمة **

أخيرا وقعت سالي على موقع إلكتروني يهتم بعرض السيرة الذاتية للمشاهير في العالم، ومن ضمنهم مشاهير عالم الاقتصاد، ومن حسن حظها أنها وجدت اسم السيد إيمانويل ألفاريس مدونا، ضغطت على اسمه لتفتح أمامها صفحة فيها إنجازاته في عالم الاستثمار من بداياته إلى غاية اللحظة..

تلت المعلومات بتركيز شديد إلى أن جحظت عيناها وهي تتلو حروف اسم "إسماعيل الأنصاري" باللغة الإنجليزية..

كانت تنطق لا إراديا بالكلمات التي أثارت دهشتها:

- الهند.. مومباي.. بناء.. إسماعيل الأنصاري..

وبسرعة البرق نقلت تلك المعلومات إلى ملف خاص وطبعته.. أمسكت تلك الأوراق وكأنها تمسك دليل إدانة وهي تقول:

- إذن شراكة إيلينا لسوار كان مخططا لها من البداية..

أطفأت سالي جهازي الكومبيوتر والطابعة، حملت تلك الأوراق ووضعتها في حقيبتها، ثم خرجت من مكتب أسامة، اتجهت بسرعة إلى مكتب العقيد مفيد، طلبت الإذن بمقابلته ثم دلفت إلى مكتبه وجلست معه.. وما لبثت أن دخلت في الموضوع..

سالي بنبرة جادة:

- عمي مفيد.. أريد منك خدمة شخصية..

العقيد مفيد باهتمام:

- إن كنت أستطيع مساعدتك فلن أتردد..

سالي بدون تردد:

- أريد نسخة عن ملف قضية ريهانا الأنصاري..

العقيد مفيد مستغربا:

- ريهانا الأنصاري؟ تقصدين ابنة رجل الأعمال التي توفيت في ظروف غامضة؟

سالي وهي تهز رأسها بحماس:

- أجل هي عمي.. ها هل ستساعدني في الحصول على نسخة من ملف القضية؟

خاطبها العقيد مفيد وهو يرى لمعة خاصة في عيني صغيرته:

- حسن عزيزتي.. في الغد سيكون عندك..

نطت سالي من مكانها واتجهت نحو العقيد مفيد وتعلقت بكتفه وهي تقول بامتنان:

- كم أنت رائع عمي..

ثم غادرت مكتبه دون حتى أن تستأذن منه..

في البلدة

إنه اليوم الخميس، يوم اللقاء المرتقب، الجميع أفاق مبكرا ليجهزوا كل شيء لاستقبال ضيف العائلة المرتقب..

توقفت السيارة التي أقلت ساري من مطار العاصمة إلى تل العاج في باحة قصر الأنصاري في الوقت الذي كانت فيه العائلة تتناول وجبة الفطور، ليهب الكل لاستقباله بعد غياب طويل، عدا ليلى وسوار..

في ظل ذلك الاستقبال حدق ساري بسوار وخاطبه بارتباك:

- ألن تسلم علي سوار؟

وقتها قام سوار من مكانه وتقدم نحوه، حاول رسم ابتسامة مزيفة أمامه، عانقه وهو يقول:

- سعيد بقدومك ساري..

عانقه ساري بقوة هو الآخر وهو يرد:

- وأنا كذلك أخي.. اشتقت لك كثيرا..

بابتعاد سوار عن ساري التفت الأخير إلى ليلى الجالسة مكانها كالصنم، ابتسم لها ابتسامة ذات مغزى وهو يقول:

- ماذا عنك ليلى؟ ألن تسلمي على ابن عمك؟

وقتها كانت كفا ليلى ترتجفان من التوتر الذي انتابها بمجرد وصول ساري، أرادت الكلام لكنها انتبهت إلى نظرة سوار، التفتت لساري، حدقت به للحظات ثم عادت لتناول فطورها بهدوء.. ذلك التصرف الذي لم يكن ساري يتوقعه منها مطلقا..

في العاصمة

رافقت إيلينا والدها إلى المطار وودعته هناك بحرارة ثم انصرفت باتجاه سينتر للتجميل لتستعد للقاء المرتقب، طلبت من السائق إيصالها إلى هناك، دخلت السينتر لتجد صاحبته في استقبالها، أجلستها على أحد المقاعد الخاصة، ودخلتا في الموضوع..

مديرة السينتر بلباقة:

- حسن آنستي.. أنا في الخدمة.. أشيري علي بالمطلوب مني وسأقوم به على أكمل وجه..

ابتسمت لها إيلينا وهي ترد:

- طلبي بسيط للغاية.. أريد أن أبدو بمظهر عربي جدا، بداية بشعري.. أريده أسود اللون..

مديرة السينتر متعجبة:

- غريب فعلا.. في العادة تطلب السيدات عكس ما قلته تماما..

ضحكت إيلينا بهدوء وهي ترد:

- هذا لأنهن يتمتعن بجمال عربي طبيعي ويردن التغيير.. وأنا وإن كان طلبي غريبا إلا أنه ينطلق من نفس مبدئهن ..

في البلدة

مع حلول العصر تفاجأ زياد بطرقات متتالية على باب الفيلا، اتجه نحوه بسرعة وفتحه ليتفاجأ بليلى تقف محاولة التقاط أنفاسها..

خاطبها بقلق:

- ليلى؟ ماذا هناك؟

ردت عليه ليلى وقد انسابت الدموع على خدها:

- أرجوك زياد.. هانتر لا يقوى على الحركة ..

تركها زياد مكانها ثم دخل غرفة مكتبه وعاد وهو يحمل حقيبة أدواته الطبية، وانصرف معها نحو قصر الأنصاري..

وصل الاثنان في زمن قياسي إلى حيث يستلقي هانتر منهك القوى، حدق به زياد وقد جحظت عيناه، هتف دون وعي منه:

- يا إلهي.. إنه يحتضر..

وقتها أجهشت ليلى بالبكاء وهي تقول باستنكار:

- كلا.. لا تقل هذا.. افعل شيئا زياد أرجوك..

دنا زياد من هانتر الذي أصبح صوته محبوسا، حدق به بأسى شديد.. وعاد للالتفات نحو ليلى التي كادت تنهار..

أخيرا فتح حقيبته وأخرج منها أنبوبا به سائل أصفر اللون، سحبه بالحقنة واقترب من هانتر وحقنه بها وهو يقول باستسلام:

- هذه مجرد حقنة مغذية.. هانتر المسكين..

ثم قام من مكانه واقترب من ليلى، رسم على ملامحه ابتسامة زائفة وخاطبها:

- سيكون بخير ليلى لا تقلقي..

جففت ليلى دموعها وابتسمت بامتنان لزياد، خاطبته:

- شكرا لك.. أنت الوحيد الذي يهتم لأمر هانتر.. الجميع هنا مشغول باستقبال خطيبة سوار المستقبلية..

أجفل زياد مكانه على وقع كلمات ليلى.. خاطبها بعدم تصديق:

- سوار الأنصاري سيخطب؟

ثم أضاف بغضب عارم:

- الوغد ..

في العاصمة

كانت سالي لاتزال جالسة في مكتب أسامة رغم أن الدوام قد انتهى منذ زمن، اتصلت به لتأكد عليه أن يمر عليها لأن هناك أمرا خطيرا تريد إطلاعه عليه..

كانت تشغل جهاز الكومبيوتر منتظرة وصول رسالة من العقيد مفيد إلى بريدها الإلكتروني..

وفجأة قامت عن المقعد وهي تلمح دخول أسامة وهو يدفع الباب.. اقترب منها وخاطبها بضيق:

- ما الأمر المهم الذي تريدين إطلاعي عليه..

أرادت الكلام لكنها انتبهت إلى صوت إشعار معلن عن ورود رسالة إليها، حدقت بها لتجدها عبارة عن ملف.. سارعت بتحميله ثم أرسلت أمرا للطابعة بطباعته قبل حتى أن تفتحته، سحبت الأوراق وحدقت بأول صفحة لتجفل مكانها وقد جحظت عيناها من هول الصدمة:

- يا إلهي.. لا أصدق..

الفصل الخامس والعشرون

في البلدة

كان سوار يجلس باسترخاء على أحد الكراسي الهزازة بالباحة، أغمض عينيه بهدوء يحاول طرد كل الأفكار السلبية التي تتزاحم في عقله، عاد لفتحهما بعد أن سمع صوت أحدهم يخاطبه:

- مبارك سيد سوار الأنصاري..

حدق بوجه زياد المحتقن غضبا، قام مكانه واقترب منه وهو يقول:

- هذا أنت زياد؟

تقدم زياد خطوات من سوار، شده من قميصه وهو يقول:

- لا تعتقد أنك نفذت بجريمتك سوار.. سأجعلك تدفع الثمن غاليا..

دفعه سوار بعيدا عنه وهو يرد:

- عن أي جريمة تتكلم يا زياد؟ لِمَ لا تتحدث معي بوضوح؟

عاد زياد ليقترب منه وهو يقول كلماته تلك بحرقة:

- أي جريمة؟ هل تعتقد أنني صدقت ادعاء فقدانك الذاكرة؟ أعلم جيدا أنك أنت من قتل ريهانا..

وقتها تسمر سوار مكانه، خاطب زياد بعدم تصديق:

- غير صحيح.. أنا لا يمكنني أن أقتل أحدا..

وتوقف عن الكلام وقد اخترق مسامعه صوت ضحكات زياد الذي رد باستخفاف:

- من تريد أن تقنع بذلك؟ لقد سمعت كل ما دار بينك وبين أفراد أسرة المجرمين.. سمعت خطتكم الدنيئة تلك ..

ثم أضاف وهو يدنو من سوار أكثر ويقول بحدة:

- وإن كنت لا تذكر فعلا.. فأنا سأذكرك..

البلدة قبل سنة

تقدمت ريهانا من زياد عندما لمحته واقفا يحدق بها من بعيد، وقفت مقابله مبتسمة:

- تسعدني رؤيتك زياد.. لِمَ تقف بعيدا؟

خاطبها زياد بضيق يحاول إخفاءه:

- لم أشأ مقاطعة ذلك العناق الذي حصل منذ قليل..

وقتها صمتت ريهانا وقد أحست بالإحراج، لكن زياد تقدم منها وهو يضيف بمحبة:

- ريهانا.. أرجوك لا تثقي بسوار.. إنه مجرد زير نساء..

خاطبته ريهانا بنبرة مطمئنة:

- ما الذي تقوله زياد؟ سوار أثبت لي بالدليل القاطع أنه رجل بمعنى الكلمة..

لتتوقف بعد أن باغتها زياد بسؤال غير متوقع:

- هل أغرمت به؟

حدقت به مطولا ونبضات قلبها تتسارع، أرادت النفي لكنها ردت باستسلام:

- أنا عشت عمري كله وأنا لا أثق بأحد سوى صديقتي إيلي لأنني أحبها..

ثم أضافت وهي تحدق بعينيه مباشرة وتقول:

- وإن كان الحب بالنسبة لي هو الثقة.. فسوار قد جعلني أثق به إلى أقصى الحدود..

خاطبها زياد بترقب:

- تقصدين أنك تحبينه إلى أقصى الحدود؟

تلك الكلمات قلبت كيان ريهانا في لحظة، أرادت الرد لكن قاطعها وصول رسالة نصية، حدقت بها وتلت كلماتها بصوت مسموع:

- ريهانا.. أريدك في موضوع مهم.. أنا أنتظرك عند بوابة حديقة القصر..

ثم رفعت رأسها وحدقت حيث كانت تقف مع سوار وليلى لكنها لم تجد أحدا، عادت للالتفات إلى زياد وهي تقول:

- إنها رسالة من سوار.. سأرى ما الذي يرده مني..

وهمت بالابتعاد لكنها توقفت بعد أن أمسك زياد يدها، خاطبها بقلق:

- لا تذهبي ريهانا.. سوار ليس كما تتخيلين..

ابتسمت له ريهانا وهي تشد يدها من بين كفيه وتقول:

- هذا ما كنت أظنه.. لكنه أثبت لي أنني كنت مخطئة بحقه..

وغادرت باتجاه البوابة ونظرات زياد الخائفة تتبعها، كان يراقبها وهي تبتعد شيئا فشيئا، وتتوقف لحظات عندما يعترض طريقها أحد سكان البلدة لتحيتها أو التعرف عليها..

أخيرا أطلق نفسا من أعماقه والتفت باتجاه الباحة، تقدم نحوها وعيناه تبحثان عن العمة ثريا أو السيد محمود من أجل تحيتهما، لكنه تسمر مكانه وهو يرى سوار ينزل درجات سلالم

القصر المؤدية إلى الباحة، كان يمسك في يده دفترا أسودا ويجوب بعينه المكان باحثا عن أحدهم..

اتجه زياد صوب سوار كالصاروخ وخاطبه بتوجس:

- سوار.. ألم تكن تنتظر ريهانا خارج القصر؟ لقد خرجت لتوها لتراك..

أنصت سوار لزياد جيدا، رد عليه باستغراب:

- أنا؟ كلا.. لقد صعدت إلى غرفتي لأحضر لها غرضا أريدها أن تراه..

قال ذلك وهو يشير لتلك المفكرة..

وقتها زاد قلق زياد الذي قال بتوتر:

- هناك شيء خطأ.. لقد تلقت لتوها رسالة هاتفية منك تطلب فيها منها أن توافيك عند بوابة الحديقة..

رد عليه سوار بعد تفكير:

- أنا لم أرسل شيئا.. ثم هاتفي ليس معي أساسا.. تركته في غرفتي..

وأضاف وقد جحظت عيناه بعد أن فهم الموضوع:

- تبا.. لقد كانت أمي تخدعني إذن..

ثم ركض وخلفه زياد نحو بوابة الحديقة لعلهما يدركان ريهانا، ومع وصولهما تعلقت أعينهما بالسيارة المبتعدة عن القصر التي كانت فيها ريهانا تحاول تخليص نفسها من بين يدي شاب ضخم يطوقها ويحاول تكميم فمها..

وقتها صاح زياد وهو يراها بتلك الحالة:

- يا إلهي.. ريهانا..

تركه سوار مكانه وعاد نحو القصر ووجهه يكاد ينفجر من الغضب والغيظ..

لم يعلم زياد ما الذي يجب عليه فعله، حدق بسوار الذي كان يشق صفوف المدعويين بسرعة فقرر أن يلحقه لأنه أدرك أنه يعلم ما يفعله، دخل خلفه الفيلا ليراه يتجه نحو غرفة المكتب حيث تجلس عمته، دفع الباب وعاد ليصفعه بقوة.. ليجد عمته ممسكة بسماعة الهاتف تتكلم عبرها مع أحدهم، لم تتلقط وقتها أذناه سوى جملتها الأخيرة:

- انتظروا أوامري..

وأغلقت الخط مباشرة وهي ترى ملامح الغضب بادية على وجه سوار الذي خاطبها وهو يقدم نحوها ويقول:

- هل كنت تطمئنين على نجاح خطتك عمتي؟

ابتلعت العمة ثريا ريقها وهي ترد:

- عمتي؟ هذه المرة الأولى التي لا تناديني فيها بأمي سوار..

دنا منها سوار أكثر ثم شد قبضته ونزل بها على المكتب وهو يقول بحدة:

- أين ريهانا عمتي؟

العمة ثريا بارتباك:

- ريهانا؟ ومن أين لي أن أعلم؟

وقتها شدها سوار بقوة من ذراعيها وهو يجز على أسنانه قائلا:

- أقسم أنك إن لم تخبريني بمكانها سأبلغ الشرطة..

ثم صاح بها بصوت هز أرجاء الغرفة:

- أين ريهانا؟

ابتعدت العمة ثريا عن سوار الذي أدركت أنها لن تستطيع السيطرة عليه، خاطبته وهي ترتمي على مقعدها باستسلام:

- ستجدها في مستودع القمح..

بالتقاطه تلك الكلمات التفت سوار خلفه واتجه نحو باب غرفة المكتب وفتحها لتلتقي عيناه بعيني زياد الذي كان لا يصدق الحوار الذي سمعه لتوه بين سوار وعمته، لم يفق من صدمته إلا وقد وجد سوار قد غادر المكان بينما كانت العمة ثريا تجري اتصالا بالخاطفين تأمرهم بأن لا يؤذوا ولدها..

ترك زياد القصر ولحق بسوار ليجده يطلق بوق سيارته محاولا إبعاد المدعوين من أمامه، اقترب من سيارته ليلاحظ أنه يقوم بدس ذلك الدفتر الأسود في صندوق سيارته العلوي، لم يهتم كثيرا بالموضوع، كل ما كان يشغله لحظتها مصير ريهانا، وخاطبه بتوسل عبر الشباك:

- خذني معك سوار أرجوك..

ابتسم له سوار مطمئننا:

- إن أخذتك معي قد تتأذي.. لا تقلق زياد، سأخلص ريهانا من الخاطفين.. ونعود إلى القصر قبل انتهاء الحفل..

وانطلقت سيارة سوار تاركة زياد خلفها يحاول تمالك أعصابه من التوتر..

* * *

أنهى زياد كلماته تلك وهو يعقب بحرقة:

- لكنك لم تعد لا أنت ولا هي..

وواصل وهو يحدق بسوار:

- لست أدري كيف صدقتك.. يا لك من ممثل محترف فعلا..

بعدها انصرف من المكان تاركا سوار مكانه وقد عادت معركة الأفكار تدور رحاها في رأسه من جديد، حاول ترتيب ما سمعه لتوه من زياد مع ما روته له ليلى سابقا، حدق أمامه في اللاشيء وهو يردد:

- رسالة من هاتفي إلى ريهانا؟ لابد وأن ساري فعلها..

ثم أضاف وهو يرتمي على مقعده مجددا ويقول بإنهاك:

- ماذا بعد يا ساري؟ لا أتمنى مطلقا أن تكون أنت من عبث بمكابح سيارتي يومها..

وظل على تلك الحال إلى أن حل الظلام وأخرجه البرد رغما عنه من استغراقه في التفكير بالماضي..

قام من مكانه وهو يحدق بساعته ويقول مندهشا:

- إنها التاسعة.. ستصل إيلينا وأنا لم أجهز نفسي بعد..

عاد للقصر وصعد إلى غرفته، اتجه مباشرة نحو الحمام وألقى نفسه في حوض الاستحمام لينعم ببعض الاسترخاء ..

الفصل السادس والعشرون

على بعد كيلومترات قليلة من قصر الأنصاري كانت السيارة التي تستقلها إيلينا تجتاز جسر العاج العريق ذاك، لقد بدت بمظهر مختلف بالشعر الأسود والنظارة السوداء التي تحاول أن تخفي بها خضرة عينيها اللامعة..

تقدم السائق أكثر نحو البلدة إلى أن وصل إلى ذلك الجزء المحطم من الجسر، وقتها أوقفته إيلينا بسرعة قائلة:

- توقف سيدي أرجوك..

أزاحت نظارتها وأمعنت النظر في حطام الجسر وهي تخاطب نفسها قائلة:

- إذن هذا هو المكان؟ واضح أنها كانت حادثة مريعة..

ثم قطبت حاجبيها محاولة تخيل تلك الواقعة..

البلدة قبل سنة

خرجت ريهانا إلى الشارع تبحث بعينين متلهفتين عن سوار، تقدمت باتجاه الطريق قليلا لتتفاجأ برجل يقف خلفها ويطوقها بذراعيه، أرادت الصراخ والتملص من قبضته لكنه أحكم أحد ساعديه حول ذراعيها، كمم بكفه الثانية فمها، واقتادها رغما عنها إلى السيارة التي يركنها صديقه قرب حائط الحديقة، تلك السيارة التي انطلقت بسرعة جنونية إلى وجهة لا تعلمها ريهانا..

بوصول السيارة إلى المكان المقصود تم إنزال ريهانا منها بالقوة معصوبة العينين، مكممة الفم، ويداها مقيدان إلى الخلف..

دفعها أحد الرجلين رغما عنها إلى مكان لم تتبينه، أدخلها وتركها هناك ثم عاد لإغلاق الباب عليها لتدرك أنها تعرضت لمكيدة تكاد تعلم من دبرها لها..

استلقت ريهانا على تلك الأرضية المفروشة ببقايا أعشاب يابسة منتظرة مصيرها، لكن لم يمر إلا وقت قصير لتصغي السمع إلى صوت مألوف، حاولت القيام من مكانها إلى أن نجحت، اتجهت نحو مصدر الصوت وحاولت الصياح دون فائدة بسبب تلك الكمامة المتينة على فمها، إلى أن سمعت صوت باب يفتح التفت نحوه مصدره لتسمع صوت سوار يهتف بلهفة:

- ريهانا عزيزتي..

دنا منها بلهفة، ومد يده مباشرة ليزيحة العصابة عن عينيها وما أن رأته حتى أجهشت بالبكاء رغما عنها، وبإزاحته الكمامة عن فمها أطلقت العنان لشفتها اللتين ظلتا ترددان:

- سوار.. أنت هنا لإنقاذي أليس كذلك؟ لست أنت من فعل هذا بي.. أخبرني أرجوك..

ضمها سوار إليها بقوة محاولا تهدئتها وهو يرد:

- لا حبيبتي لست أنا.. لا تقلقي سأخرجك من هنا..

مد يديه خلف ظهرها ليزيح عنها الحبل الذي يقيدها، التفت خلفه وخاطب الشابين بحزم:

- ابتعدا من هنا..

أراد أحدهما التقدم نحوه لمنعه من الخروج بالفتاة لكن زميله خاطبه محذرا:

- توقف مكانك.. لدينا أوامر بعدم إيذاء السيد سوار..

خرج سوار وهو يضم ريهانا إليه، تمشيا معا مدة من الزمن إلى أن تجاوزا الحقول وأصبحا على الطريق، تقدم بها حيث كان يصف سيارته، فتح الباب لها وأجلسها ثم جلس هو مكانه وقاد سيارته بسرعة..

في ذلك الوقت ارتمت ريهانا على مقعدها وهي تطلق نفسا عميقا، انتبهت إلى الطريق التي سلكها سوار، التفتت له وخاطبته مستفسرة:

- هذا ليس طريق القصر سوار..

رد عليها سوار فيما كان منتبها على الطريق:

- نحن لن نذهب إلى القصر ..

لم تعلق ريهانا على رد سوار، لكنها ظلت تفكر فيما حصل معها منذ لحظات، عادت لتسأله:

- كيف عرفت مكاني؟

رد سوار بهدوء:

- تبعت السيارة التي اختطفتك هذا كل شيء..

أضافت ريهانا غير مصدقة ما قاله لتوه:

- حقا؟ لكن أحد الشابين ناداك بسيد سوار.. ونبه زميله إلى عدم التعرض لك..

وواصلت بنرفزة:

- ما الذي تخفيه عني سوار؟

وقتها صاح بها سوار وقد سئم أسئلتها:

- أجل ريهانا أنا من اختطفك.. هل ارتحت؟

لم تصدق ريهانا نفسها وهي تلتقط رد سوار، خاطبته بترقب:

- أنت؟ لكن لِمَ أطلقت سراحي إذن؟

هدأ سوار من حدة صوته، كلم ريهانا بنبرة جادة:

- اسمعيني ريهانا.. عندما نخرج من هنا سأطلعك على كل شي.. ثقي بي..

أصغت ريهانا لكلمات سوار وقد علمت أنه لن يشرح لها شيئا إلا عند خروجهما من تل العاج.. لذا فضلت الصمت..

بوصول السيارة التي كان يقودها سوار بسرعة جنونية الجسر تفاجأ بتلبد السماء بالغيوم الموسمية وهطول أمطار غزيرة، حاول التخفيف من السرعة لأن الجسر قديم وقد تتسبب الأوحاول المتجمعة على الطريق في انزلاق السيارة، داس على المكابح لكنه تفاجأ بأنها معطلة، هتف بحدة:

- تبا.. هذا ليس وقته مطلقا..

خاطبته ريهانا بقلق:

- ماذا حصل سوار؟

سوار بنرفزة:

- المكابح معطلة..

ريهانا بتوتر:

- وماذا سنفعل الآن؟

التفت سوار صوب ريهانا للحظة ليطلب منها ربط حزام الأمان، أثناءها لم يتنبه إلى بقعة الوحل التي تجاوزتها عجلات السيارة والتي أدت إلى انزلاقها والتفافها حول نفسها أكثر من مرة، وقتها حاول سوار إعادة السيطرة على السيارة ، لكن المقود لوحده في ظل تعطل المكابح لم يجعله ينجح في ذلك..

لفت السيارة حول نفسها عدة لفات بسرعة البرق قبل أن ترتطم بالجانب المقابل من الجسر، الذي تحطم مجرد اصطدام السيارة به، تلك السيارة التي أصبحت معلقة بين السماء والبحر ومقدمتها إلى الأسفل لا يمنعها من السقوط سوى بعض الأعمدة التي انحشرت بينها..

داخل السيارة رفع سوار رأسه الذي ارتطم بالشباك الأمامي ليعلق الزجاج على وجهه وذراعيه، اعتصر عينيه بقوة ليزول الدوار الذي أصابه، التفت نحو ريهانا ليجدها على مقعدها بلا حراك، مد يده ليحركها، رجها بقوة وهو يقول بترقب:

- ريهانا.. هل أنت بخير؟

فتحت ريهانا عينيها على ابتسامة سوار المرتسمة على وجهه الدامي، انتفضت مكانها جزعة:

- ماذا حصل؟ أين نحن؟

شدها سوار من ذراعيها ليهدئها وهو يقول:

- لا تتحركي عزيزتي.. السيارة الآن عالقة في الهواء.. أي حركة غير محسوبة ستجعنا نهوي إلى البحر..

ثم تركها، ودفع باب السيارة من ناحيته، وخرج عبره ليقف أعلى الجسر مستندا إلى بعض الأعمدة على الحاجر الحديدي، مد يده ليمسك ريهانا وهو يقول مشجعا:

- هيا عزيزتي هاتِ يدك..

أومأت له ريهانا برأسها، ثم مدت يدها نحوه لكنها تفاجأت بباب السيارة ينفتح لوحده وتندفع هي إلى الخارج لأنه كان الشيء الوحيد الذي يحول دون انزلاقها خارج السيارة..

أراد سوار إمساك يدها قبل أن تهوي إلى الأسفل لكنه كان قد تأخر، وقف مكانه غير مصدق أنه فقدها فعلا، هتف باسمها بلهفة:

- ريهانا.. لا..

ليسمع ردها تناديه من مكان ما لم يعلمه، خاطبته بصوت يكاد ينقطع:

- سوار.. ساعدني أرجوك.. سأقع..

ترك سوار ذلك الجانب من جسر حيث كان يقف، وتوجه نحو مصدر الصوت، ليلمح ريهانا معلقة في الهواء، تطبق قبضتها على طرف الباب الذي انفتح، كانت متمسكة بقوة بالحديد عند جانب الشباك ويدها قد غرقت بالدماء التي خلفتها شظايا زجاجه المحطم..

تمدد سوار على أرضية الجسر ومد يده إلى الأسف نحو ريهانا وهو يقول:

- هيا ريهانا.. أعطني يدك الثانية..

مدت ريهانا يدها الأخرى نحو سوار الذي كان ينحني أكثر محاولا إمساكها بلا فائدة، خاطبها مجددا:

- حاولي رفع جسدك قليلا عزيزتي..

أغمضت ريهانا عينيها بقوة وحاولت جاهدة دفع جسدها إلى الأعلى إلى أن استطاع سوار إطباق قبضته عليها أخيرا..

وقتها أطلق نفسا عميقا وهو يقول:

- هذا جيد عزيزتي.. والآن.. دعي طرف السيارة..

خاطبته ريهانا معترضة:

- كلا سوار.. لن أدعه.. أخشى أن أقع..

رد عليها سوار بهدوء:

- السيارة غير ثابتة ريهانا، إن سقطت فستسحبني أنا وأنت معها..

ثم ابتسم لها وهو يرى الخوف في عينيها:

- ثقي بي ريهانا.. أنا سوار أم نسيت؟ وعدتك يوما بأني سألتف حول معصمك كالجدار المنيع.. ليس لأزينه.. بل لأحميه..

ثم أضاف وهو يطبق بشدة على ساعدها بقبضته:

- وها قد جاء اليوم الذي أنفذ وعدي لك فيه..

أنصتت ريهانا لكلمات سوار وهي تتذكر تلك الكلمات التي قالها لها يوما وهو يتحداها، حدقت به جيدا ثم ابتسمت له..

أرخت ريهانا قبضتها التي كانت تطبقها حول حديد شباك السيارة إلى أن أفتت يدها تماما، وقتها ابتسم لها سوار وهو يقول:

- هذا جيد عزيزتي.. والآن جاء دوري..

تعلقت وقتها عينا ريهانا بعيني سوار وهي تراه يجاهد نفسه لينقذها رغم الدماء التي غطت وجهه، وهو يرسم ابتسامة يحاول بها زرع الثقة في نفسها، تلك الابتسامة التي تحولت فجأة

ودون مقدمات إلى ابتسامة باردة باهتة لم تفهم معناها إلا عندما أحست به يرخي قبضته التي لفها حول ساعدها شيئا فشيئا إلى أن أفلته.. أدركت وقتها أن كل ما جعلها تشعر به من أحساس في تلك اللحظات مجرد تمثيلية لعب هو فيها دور البطولة.. وهوت ريهانا وعيناها لاتزالان معلقتين بابتسامة سوار الزائفة.

* * *

استفاقت إيلينا من خيالاتها على صوت السائق يناديها:

- آنستي هل أنت بخير؟

التفتت له ثم ردت وهي تضع نظارتها مجددا على عينيها:

- لننطلق سيدي..

الفصل السابع والعشرون

أخيرا حطت طائرة السيد إيمانويل في مطار مومباي على خلاف ما أوهم به سوار بأنه ذاهب إلى إمريكا.. أنهى إجراءات الدخول بسرعة ثم استقل سيارة خاصة إلى المكان الذي يقصده، في الطريق توقف عند محل للورود ، اشترى باقة ياسمين جميلة وعاد إلى السيارة..

خاطب السائق وهو يضع نظارته على عينيه:

- إلى الفيلا..

وبعد مسير دام نصف ساعة تقريبا كانت سيارة السيد إمانويل تتوسط حديقة فيلا في غاية الرقي.. ترجل منها ليجد الخدم في استقباله، ألقوا عليه التحية وأشاروا إليه للدخول من أجل الاستراحة من عناء الرحلة.

تقدم السيد إيمانويل خطوات نحو الفيلا إلى أن توقف عند الدرجات المؤدية إليها، حدق بالخدم ثم خاطبهم متسائلا:

- أين المربية ديانا؟

رد عليه رئيس الخدم بسرعة:

- إنها في الحديقة الخلفية.. كعادتها في مثل هذا التوقيت سيدي..

أنصت السيد إيمانويل لرد رئيس الخدم ثم تركه مع البقية أمام الفيلا والتف حولها ليقف عند مساحة مميزة مزينة بأجمل الورود والنباتات.

انتبه إلى تقدم سيدة تبدو في الأربعين من العمر نحوه، اقتربت منه وألقت التحية مبتسمة:

- سيد إيمانويل؟ كيف حالك؟

ابتسم لها السيد إيمانويل وهو يرد التحية:

- بخير ديانا..

ثم أضاف وهو يحدق بعينيه في الاتجاه الذي قدمت منه المربية:

- كيف هي؟

ردت المربية ديانا وهي تطأطئ رأسها:

- يمكنك أن تراها.. أظنها ستكون سعيدة بوجودك سيدي ..

أومأ السيد إيمانويل للمربية بالانصراف، خطا بعض الخطوات داخل المكان المفروش بالورود لتعتلي ثغره ابتسامة هادئة وهو يقول:

- لا بد وأنك غاضبة مني..

ثم أضاف وهو يتقدم أكثر:

- لكنني أتيت لك بباقة من الياسمين الذي تعشقينه عزيزتي..

وواصل بتودد:

- ها هل سامحتني؟

بعدها سكت مدة من الزمن يحاول تجميع كلماته، أزاح نظارته الشمسية جانبا كاشفا عن عينيه المغرورقتين بالدموع التي أبت إلا أن تنساب على خديه، أضاف وهو يحاول تمالك نفسه:

- اشتقت لك عزيزتي.. اشتقت لك كثيرا..

ثم صمت فترة ظل يحدق فيها بذلك القبر المحاط بأجمل الورود الملونة.. والذي تعلوه لافتة كتب عليها بالحروف اللاتينية " ILINA ALVARIS " :يليه تاريخ وفاتها..

في العاصمة

أعاد أسامة تلاوة ما جاء في تلك الأوراق التي قدمتها له سالي عدة مرات، حاول استيعاب السيناريو الذي رسمه له عقله، التفت لسالي وهو يقول غير مصدق:

- يا إلهي.. إن كانت استنتاجاتنا صحيحة فسوار الآن في خطر..

خاطبته سالي بثقة:

- كنت أعلم أنها كانت تخفي شيئا عنا ..

ثم أضافت بغيظ:

- يا لها من شابة ذكية.. استطاعت لعب دورها ببراعة..

عاد أسامة للتحديق بتلك الأوراق مجددا، ثم التفت لسالي وهو يقول:

- علي الاتصال بسوار لأعلمه بما توصلنا إليه قبل أن يتورط مع إيلينا تلك..

ثم سحب هاتفه من سترته وانهمك في البحث عن رقم صديقه..

في البلدة

خرج سوار من الحمام وهو يلف وسطه بفوطة طويلة، اتجه إلى خزانة ملابسه وسحب منها بدلته التي اشتراها خصيصا لتلك المناسبة.. ارتداها بحذر ثم انهمك في تجهيز نفسه لاستقبال إيلينا..

في الصالة كانت جميع أفراد عائلة الأنصاري متجمعين، يجلسون في انتظار الضيف المنتظر بترقب شديد، عدا ليلى التي فضلت البقاء رفقة هانتر بعد أن أدركت أنه سيلفظ أنفاسه الأخيرة..

جلست قربه تبكي بحرقة وهي تقول:

- كل من أحببتهم في هذا العالم يرحلون بسرعة..

وأردفت بألم:

- بداية رحلت ريهانا.. ثم ساري..

والتفتت لهانتر، ربتت على ظهره وهي تضيف:

- والآن تريد أن تتركني هانتر..

وظلت جالسة هناك غير مهتمة بما كان يشغل آل الأنصاري وقتها..

نعود إلى غرفة سوار..

كان سوار يقف أمام المرآة يعطر نفسه، سرح قليلا وهو يتخيل كيف ستدخل إيلينا عليه، ابتسم لا إراديا.. في الأخير قطع سرحانه صوت هاتفه الذي لم يتوقف منذ دخوله الحمام، حمله وهو يقول مستغربا:

- هذا أسامة.. يبدو أنه اتصل عشرات المرات..

ضغط زر الرد وخاطب صديقه:

- مرحبا أسامة..

ليسمع رده الغاضب المنطلق من السماعة:

- لِمَ لم تكن تجيب.. ظننت أن مكروها أصابك..

سوار باستخفاف:

- كنت آخذ حماما يا أخي.. ولم أسمع صوت الهاتف إلا الآن..

خاطبه أسامة بنبرة جادة:

- هناك موضوع مهم يجب أن تعلمه الآن..

رد عليه سوار بضيق:

- الآن؟ ألا يمكنك تأجيله؟ ستصل إيلينا بين لحظة وأخرى.. وعلي أن أكون في استقبالها..

أردف أسامة بسرعة وحدة:

- الموضوع يتعلق بإيلينا بالتحديد.. عليك أن تعلمه لأن الأمر خطير للغاية..

أسلوب كلام أسامة جعل سوار يشعر بأن الأمر لا يحتمل التأجيل فعلا.. وبأن صديقه سيخبره بسر سيغير مجرى حياته تماما.. سر يتعلق بمن سيتخذها شريكة لحياته..

أخيرا توقفت السيارة التي تقل إيلينا عند بوابة حديقة قصر الأنصاري، حدقت بالمكان قليلا، ثم سحبت حقيبتها ومدت يدها بداخلها، سحبت مرآة منها، وهي تزيح نظارتها الشمسية، حدقت مطولا بصورتها المنعكسة على المرآة ثم مدت سبابتها وإبهامها لتتلمس غشاء عينها الشفاف، عادت لتبعدهما بعد أن سحبت بهما عدساتها التي كانت تخفي بها لون عينيها الحقيقيين.. وفعلت نفس الشيء مع عينها الثانية.. ثم عادت لارتداء نظارتها مجددا..

التفتت للسائق وقدمت له الأجرة ثم ترجلت، تقدمت نحو بوابة القصر ووقفت لحظات تلتقط أنفاسها ثم مدت قدمها داخل الحديقة..

في تلك اللحظة بالذات انتفض جسد هانتر بشكل غريب، حدقت به ليلى وقد هالها منظره وهو يجثم واقفا على أطرافه الأربعة بعد أن كان غير قادر حتى على التقاط أنفاسه..

خاطبته ليلى وهي تبتعد عنه:

- يا إلهي.. هانتر.. لا أصدق أنك قادر على الوقوف..

لحظات فقط التقط فيها هانتر أنفاسه ثم انطلقا كالسهم تتبعه ليلى محاولة اللحاق به بعد أن عجزت عن تفسير ما يحصل معه..

اجتازت إيلينا الحديقة بخطوات هادئة إلى أن وجدت نفسها أمام بوابة القصر، صعدت الدرجات على مهل ثم دفعت الباب ودخلت.. تقدمت بنفس الخطوات الواثقة نحو الصالة ليقف الجميع من أجل تحيتها..

في تلك اللحظات تجاوز هانتر بوابة القصر واتجه مباشرة صوب إيلينا، خلفه ليلى التي صاحت بها لتبتعد عن طريقه خوفا من أن ينقض عليها..

في الأعلى ارتمى سوار على سريره وهو ينصت لكلمات أسامة التي لم يكن يتوقعها للحظة، خاطبه بعدم تصديق:

- إن كان السيد إيمانويل هو شريك عمي في مومباي فهذا يعني أن ابنته إيلينا وابنة عمي ريهانا...

ثم ألقى هاتفه وقام من مكانه وهو يسمع صوت نباح هانتر يشق سكون تلك الليلة..

خرج من غرفته راكضا نحو الدرج، نزل خطوات ليتوقف وقد تعلقت عيناه بمنظر هز كيانه؛ ذلك الكلب الذي كان يحتضر صبيحة اليوم، يدفن رأسه في حضن إيلينا التي كاد أن لا يتعرف عليها بسبب لون شعرها الأسود..

أخيرا ابتعدت إيلينا عن هانتر واعتدلت في وقفتها، التفت لأفراد عائلة الأنصاري؛ ساري.. السيد محمود.. السيدة منيرة.. والعمة ثريا.. الأربعة الذين قاموا لتحيتها، حدقت بهم مطولا ثم أزاحت نظراتها لتكشف عن عينيها السوداوين.. ليهتف الجميع بنفس الحروف وكأنهم رأوا شبحا:

- ريهانا!!

بمجرد سماعه لاسمها وتحديقه بتلك الوجوه الواجمة استند سوار إلى طرف الدرج ليحفظ توازنه، خاطب إيلينا وهو يبتلع ريقه غير مصدق:

- ريهانا؟

التفتت إيلينا نحو سوار لترى وجهه المخطوف، ابتسمت ابتسامة لطالما كانت تستفز بها آل الأنصاري، خاطبته بلغة عربية في منتهى الفصاحة، تلك اللغة التي لم يكن يشك

للحظة أنها تستطيع نطق كلمة صحيحة بها، تحركت شفتاها لترد على سؤال سوار وهي ترمقه بنظرات مشبعة بالحقد والقهر:

- أجل سيد سوار الأنصاري.. أنا هي.. ريهانا..

** يتبع